بَلَاغَةُ الْجُمْهُورِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيّ الْقَدِيمِ
"مُقَارَبَةٌ بَلَاغِيّةٌ حِجَاجِيّةٌ فِي أَدَبِ الْمَجَانِينِ"

ط.د/جعفر لعزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط،
أ.د /أحمد بوعنان
المدرسة العليا للأساتذة، جامعة محمد الخامس، الرباط
jaafarlaaziz@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/11/01	تاريخ القبول: 2024/02/07	تاريخ النشر: 2024/03/30

Abstract
The study seeks research on the subject of public eloquence in ancient Arab literature based on the theoretical foundations, cognitive foundations and procedural concepts referred to by Egyptian scholar Imad Abdelatif in his theoretical construction of the field of public eloquence in literature, through which it aims to fill two knowledge gaps, one that aspires to examine the real-life audience's responses to a particular literature, A gap seeks to illustrate the public's eloquence in narrative and prose literary texts From the study of characters, spaces and places and their symbols, this is what we have achieved in this study by adopting public eloquence in literature and choosing "Mimon Al-Wasati talks with pilgrims Ben Youssef Al-Thaqfi" a model for exploring public rhetoric in ancient Arab literature And we emphasized that crazy literature, councils, stereotypes, evidence and debates are fertile speeches that generate eloquent features of responses. We have reached a palm of old texts that we can study by adopting the public's rhetoric. Our research has reached a higher conclusion, namely, that the public's eloquence includes various approaches and textual and contextual theories in critical analysis of speech. policy ", which aspires to dismantle authoritarian discourses and indicate the eloquent, null and void and critical responses they generate.

Keywords: text, literature, public eloquence, eloquent response, ancient literature, rhetorical approach. Pilgrimage, crazy literature.

مُلخّص البحث

تبتغي الدراسة الابتحاث في موضوع بلاغة الجمهور في الأدب العربي القديم، بالاستناد إلى التأسيسات النظرية والمرتكزات المعرفية والمفاهيم الإجرائية التي أشار إليها الباحث المصري عماد عبد اللطيف في بنائه النظري لحقل بلاغة الجمهور في الأدب، التي هدف من خلالها إلى سدّ فجوتين معرفيتين، فجوة تطمح إلى دراسة استجابات الجمهور الواقعي حول أدب معين، وفجوة تسعى إلى بيان ملامح بلاغة الجمهور داخل النصوص الأدبية السردية والنثرية، انطلاقا من دراسة الشخصيات أو الفضاءات والأمكنة ورموزها، وهذا ما تحقق لدينا في هذه الدراسة باعتماد توجه بلاغة الجمهور في الأدب، واختيار "حديث ميمون الواسطي مع الحجاج بن يوسف الثقفي" نموذجا لاستطلاع تجليات بلاغة الجمهور في الأدب العربي القديم، وأكدنا على أنّ أدب الجنون والمجالس والمقامات والأثبات والمناظرات خطابات خصيبة تتولّدُ منها ملامح الاستجابات البليغة، وقد وصلتنا منها نخيلةٌ من النصوص القديمة التي يمكن أن ندرسها باعتماد توجه بلاغة الجمهور، إن بحثنا هذا وصل إلى نتيجة أسمى، وهي أن توجه بلاغة الجمهور يضم إلى جانبه مختلف المقاربات والنظريات النصية والسياقية في التحليل النقدي للخطاب، التي تطمح إلى تفكيك الخطابات السلطوية وبيان ما يتولد منها من الاستجابات البليغة والبلاغية والنقدية.

الكلمات المفاتيح: النص، الأدب، بلاغة الجمهور، الاستجابة البليغة، الأدب القديم، مقاربة بلاغية. مقاربة حجاجية، أدب المجانين.

مقدمة:

يظل النص التراثي العربي نصا حيا وخالدا ومتجددا في آنٍ، ولا متناهيا وغير مطوّق أيضا، ومشدودٌ أمرهُ إلى الانفتاح على مجموعة من المعارف المتشعبة والدلالات اللامتناهية، فحياته وخلوده مرتبطان باستحالة نفاد معانيه واستنفادها وبعدم انقضاء تآويله لصعوبة العبور إليها والنفاذ إلى عمقها، وتجدده منحصرٌ في كونه نصا متشعبا منفتحا على خلفية معرفية متعددة أولا، وفي كونه منتسبا إلى الغياب والمجهول ثانيا؛ لأنه نص مليء بالبياضات الخصيبة والثقوب المجهولة، ويمكن وصفه بأنه نص آمّن لنفسه منطقة آمنة في مكان صراع التأويلات، شيء يجعله محتاجا إلى قراءات مختلفة تكشف ما خبا فيه من الحقائق والمضمرات، وتستند هذه القراءاتُ إلى مناهج ونظريات ومقاربات تحليلية، تعمل على إحيائه وفتحه على احتمالات تأويلية ممكنة، وكلما عجزت عن كشف معانيه وتحقيق بواطنه فإنها تعيد النظر في أسسها ونتائجها وخلفياتها كما أشار إلى ذلك "خالد بلقاسم" في "مرايا القراءة". ومعنى عدم القدرة على تطويقه هو أنّه نص متملص من كلّ قيد يسعى إلى حصره في زاوية معرفية معينة، ومخلص هذه الإشارات أن الأدب العربي القديم خالد، لأنه "غير قابل للاستنفاد ممارسةً وتنظيرًا"[1].

وبناءً على إيرادنا خواص ومميزات النص التراثي العربي القديم، نقول إنّ مدار الدراسة وإشكالها هو مقاربة الأدب العربي القديم مقاربةً بلاغية، أستند فيها إلى المقترحات المنهجية والنظرية التي أشار إليها الدكتور "عماد عبد اللطيف"، في علاقة بلاغة الجمهور بالأدب، ومخصصا بذلك أدب المجانين عيّنة للدراسة، بوصفه أدبا هامشيا، لم يلتفت إليه كثيرا في الدراسات البلاغية الحديثة، واخترت حوار ميمون الواسطي المجنون مع الحجاج بن يوسف الثقفي نموذجا لتحقيق هذا الإشكال والإجابة عنه، ومعلوم أن تصانيف كتب طبقات الشعراء والأدباء والمجامع والمجالس والأثبات والأخبار، قد حفظت لنا نصوصا عن أوصاف المجانين وأخبارهم، ونقلت الكثير من نثرهم وآدابهم، وأشعارهم وأمثالهم وحكمهم، هو متن أدبي زاخر، لم يلق الاهتمام دراسة وتأويلا، ومن ثمة، فإننا نبتغي تحليل هذا النوع من الخطابات، بوصفها تحمل حكما واستجابات بليغةً، وتستضمر دلالات وتأويلات عميقة، ويتأكد هذا القول في الإشارة الطريفة التي وجدتها في العقد الفريد، حيث يقول ابن عبد ربه الأندلسي واصفا أدب

المجانين: "وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله"[2] ، إشارة نصية حملتنا على محاولة استطلاع آدابهم وخطبهم وأشعارهم، وتناولها بالدرس والتحليل، اعتمادا على الموجهات البلاغية والمقترحات التحليلية والمنهجية لبلاغة الجمهور، جاعلين ميمون الواسطي نموذجا تطبيقيا لهذا الممارسة التحليلية.

أوجد الباحث عماد عبد اللطيف الروابط المعرفية التي تفتح بلاغة الجمهور على مقاربة الأدب، وقدم مقترحات منهجية لمقاربته باستخدام آليات اشتغال بلاغة الجمهور، واقترح منهجيات تسعف الناقد البلاغي على الاقتراب من النصوص النثرية والروائية، والمدونات الشعرية بوصفها نصا أدبيا، وذلك باستثمار الموجهات البلاغية لبلاغة المخاطب، والعمل على تطبيقها لاستطلاع مظاهر الاستجابة البليغة للجمهور في الأدب، وأبتغي تحقيق إشكال الدراسة بالاشتغال على أدب المجانين، حيث سأورد التجليات البلاغية في أشعارهم ومنقولاتهم الكلامية، وأبرز مظاهر الإقناع والإمتاع فيها، بوصفها خطابا احتماليا، وأستخرج الملامح الحجاجية فيها، وللدراسة أهمية كبيرة، تتجلى في أنها انفتحت على أدب لم ينل حقه تنظيرا وممارسة، وتظهر أيضا في بيان دور بلاغة الجمهور بوصفها بلاغة مستقبلية على مقاربة النصوص الأدبية التراثية، وقدرتها على كشف ملامحها البلاغية وتجلياتها الحجاجية، ونبتغي من البحث تحقيق مجموعة من الأهداف، منها توضيح العلاقة بين بلاغة الجمهور والأدب، وتأكيد خاصية الانفتاح والتجدد في المقاربة البلاغية للمخاطب، ومحاولة الكشف عن بلاغية أدب المجانين، وإظهار قيمه وأساليبه الحجاجية، وحججه المتنوعة.

وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات كثيرة، نذكرها كالآتي: ما علاقة الأدب ببلاغة الجمهور؟ وما منهجية الاقتراب من النصوص الأدبية باعتماد بلاغة الجمهور؟ وكيف يحضر المخاطب في الأدب؟ وما الأبعاد البلاغية في الإنتاجات الأدبية للمخاطبين؟ وكيف ينتج المخاطب أدبا بليغا؟ وما التجليات الحجاجية والأسلوبية في أدب المجانين؟ وكيف يمكن أن نقترب من أدبهم باعتماد مقاربة بلاغة المخاطب؟ وتستند الدراسة في تحقيق إشكالها والإجابة عن تساؤلاتها إلى المقاربة البلاغية الجديدة، التي ابتكرها الدكتور عماد عبد اللطيف، وسنستثمر في دراسة متن ميمون الواسطي المنهجية المقترحة للباحث المصري في دراسة الأدب، وربطه بالاستجابات البليغة وغير البليغة.

أولا: بلاغة الجمهور: توجه جديد لبناء وعي جماهيري ضد الخطابات السلطوية

إن الابتحاث في موضوع بلاغة الجمهور يجعلنا نطرح سؤال الغاية والهدف، الظاهر في مرامي ودواعي تأسيس بلاغة الجمهور، ومسعاها –بوصفها من ثمرات اجتهادات عماد عبد اللطيف البلاغية- هو جعل الجماهير منخرطة في الفعل البلاغي والنقدي البليغ من خلال دراسة الاستجابات الجماهيرية البليغة والنقدية التي تتولد بالتعرض لخطاب سلطوي معين أو قضية معنية، وقد كانت للجمهور إسهامات بلاغية كبيرة في معارضة خطاب السلطة، والتصدي لكثير من المغالطات والأكاذيب التي يود المتسلطون في الخطاب إقناع الجماهير بها، إننا مع بلاغة الجمهور أمسينا نتحدث عن وعي ونقد جماهيري، مطعم بقوة بلاغية تحتاج بالأساس إلى دراسة وتحليل، وهذا ما توجه له الناقد البلاغي عماد عبد اللطيف، حيث أثمرت جهوده البلاغية الوليدة ابتكاره لتوجه بلاغي جديد، أمكن الدرس البلاغي العربي من الانفتاح على موضوعات وخطابات لم تلتفت إليها البلاغة العربية القديمة، مكّسرا الهيمنة السلطوية للمتكلم على المخاطب، وساعيا إلى جعل المخاطب رافعا رأسه داخل النص أو الخطاب، ومتعاليا على المتكلم، وممتلكا لقدراتٍ بليغة تسعفه على كشف التضليلات والأغاليط التي يبتغي المتكلم فرضها في خطابه السلطوي وإقناع المخاطبين بها، وإنّ عبارة "المخاطب رافعا رأسه" المدرجة في العنوان، عبارة مستعارة من كتاب "القراءة رافعة رأسها" للباحث عبد السلام بنعبد العالي، المراد منها أن للمخاطب في توجه بلاغة الجمهور مكانةً عظيمةً؛ إذ بسببه تم وضع مقترحات تحليلية تهدف إلى دراسة خطاباته البليغة ومعرفة دور اللغة –بوصفها وسيطا- في إمكانه من قدرة التعبير والنقد وخلق الاستجابات. إننا نؤكد أن رائد البلاغة "عماد عبد اللطيف" تمكن من إيجاد الحلقة الضائعة في البلاغة العربية، أو العثور على جزيرة ولّادة تعجّ بأشواك الإهمال، وتحمل مدونة خطابية لا متناهية تحتاج إلى من يكشف عن خصائصها ووظائفها وأساليبها، ويدرس مدلولاتها وقضاياها ويحلل بلاغتها واستجاباتها، وترتبط هذه المدونة بالخطابات اليومية للمخاطبين، الذين أمسوا قادرين على النقد وخلق الردود والاستجابات ومواجهة خطاب السلطة.

أحكم الباحث عماد عبد اللطيف البناء النظري للمقاربة البلاغية الجديدة واستثمره في الممارسة التطبيقية، وقدم مقترحاتٍ تحليليةً ومنهجية يسرت على الباحثين سبيل الاشتغال

على مقاربته، وخاصة وأنّها توجه وليد ضمّ إلى جانبه مجموعة من النظريات والمقاربات التحليلية، وانفتح على جزيرة خطابية تحضر فيها الاستجابات البليغة للمخاطبين، ففي ظل القمع الذي تعيشه الشعوب المقهورة وعدم قدرتها على نقد خطابات السلطة وعجزها عن مقاومتها وكشف مغالطاتها فقد فتح الباحث باب النقد البلاغي على مصراعيه، ووضع للمخاطب باعتباره -كائنا بلاغيا بليغا- آلياتٍ للمقاومة والنقد والمعارضة، والتفت إلى بيان دور اللغة اليومية كوسيط بلاغي في تفاعل الجمهور مع مختلف القضايا السياسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، ويبدو أنه مع هذه المقاربة قد رفع المخاطب رأسه متعاليا على سلطة المتكلم، وانتقلت البلاغة من صيغة المفرد إلى الجمع، حيث نجد المدرجات - مثلا- فضاءً بلاغيا، ومواقع التواصل الاجتماعي فضاءاتٍ احتجاجيةً، والشوارع أماكن للثورات والمعارضات، فمع بلاغة الجمهور لا نكاد نستثني مكانا عاما على أنه بلاغيٌّ، ففي المقاهي والمستشفيات والمدارس والملاعب والأندية الرياضية والقاعات العامة والمنازل والشوارع وغيرها من الأماكن العامة تتولد الاستجابات البلاغية البليغة وغير البليغة، تكون بليغة في معارضتها لخطاب السلطة، وغيرَ بليغة في تأييدها للخطاب نفسه.

نؤكد مسألة كون المخاطب رافعا رأسه في بلاغة الجمهور على المتكلم في قول الباحث (صلاح حسن حاوي): "سعت بلاغة الجمهور إلى كسر هيمنة المتكلم السلطوية والانفتاح على المخاطب، بوصفه كائنا بلاغيا، ينتج استجابات بلاغية بليغة، وهذا بناء تأسيسي بالانتقال من بلاغة المتكلم إلى بلاغة الجماهير أو الجمهور، حيث أضحت له القوة البلاغية التي تمكنه من إنتاج خطابات مؤثرة، وذلك بعد تخلصه من قيود الواقع، وانتقل إلى الفضاءات الافتراضية التي أتاحت أمامه فرصة التفاعل مع الخطابات السياسية السلطوية والأخلاقية والاجتماعية"[3].

يظهر النص التداعيات التي كانت وراء ابتكار بلاغة الجمهور، التي أولت الاهتمام بالمخاطب والانفتاح على قدراته الأسلوبية واللغوية واكتشاف قوته البلاغية، التي تقوت بحكم قدرته على إنتاج خطابات مؤثرة واستهوائية وخلق استجابات متباينة، وتحقق له هذا المطمح في تخلصه من قيود الواقع، وانتقاله إلى الفضاءات الافتراضية التي أتاحت له الحرية التامة للتعبير عن آرائه البليغة وغير البليغة في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية، وأمام هذه الانتقالة، فهو أمام منصة مباشرة تتيح له التفاعل بسرعة مع ما استجد من الأحداث

والموضوعات، إما عبر التعليقات أو المشاركات والإعجابات وإنشاء أشرطة فيديو، معناه أننا أمام فضاء مولّدٍ لموجة من الاستجابات والتفاعلات والردود التي يصعب حصرها وتقييدها، ومن ثمة، فنحن في صدد بلاغة مستقبلية يتحمل فيها الناقد البلاغي مسؤولية التحليل والكشف والتحقيق والحفر والبناء، وله القدرة على وضع اقتراحات منهجية تسعفه على تحليل مختلف الخطابات التي تندرج ضمن مبتكر عماد عبد اللطيف البلاغي. يظهر البناء النظري الذي حدد فيه الباحث المصري مرتكزات ومباني مقاربته الجديدة، في الدراسة الوصفية والتأسيسية التي وسمها بـ**"بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"**، وقد تم نشرها سنة 2005م[4] ، وفيها اتضحت الملامح التجديدية الأولى في البلاغة العربية، وقدم فيها الوصف الكامل لكل ما يتعلق ببلاغة الجمهور، وفيها أشار إلى أن الحقلين المعرفيين المتحكمين في المقاربة هما البلاغة والتحليل النقدي للخطاب، وأنّ موضوعها هو دراسة الاستجابات وتحليلها، ومادتها المدونة الخطابية الافتراضية، ووظيفتها تتبدى في إمكان المخاطبين من مهارات وقدرات معارضة خطاب السلطة، ونعتقد مجازا أن هذه الدراسة بمثابة محاكمة ومقاضاة بلاغية، حاكم الدكتور عماد عبد اللطيف البلاغة العربية والغربية بأسئلة مقلقة هامة، توجه التهمة للإعلاء من شأن المتكلم على المخاطب، مطالبا بتنزيل المخاطب منزلة عظيمة، والالتفات لقوته الأسلوبية من خلال النظر في استجاباته البلاغية البليغة ضد خطاب السلطة الذي ينتجه متكلم واحد، بغية إيهام المخاطب والإيقاع به وإقناعه والظفر به، وبعد أربع سنوات مباشرة، حاول الباحث أن يستثمر هذا البناء النظري بممارسة تطبيقية يحتاجها للتأكيد على مدى جدوى المقاربة في تحليل الخطابات اليومية، فألّف كتابا تطبيقيا درس فيه بلاغة التصفيق لدى المصريين، ووسم الدراسة بـ**"لماذا يصفق المصريون: بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن"**، وتم نشرها سنة 2009م، وهي دراسة تطبيقية في الاستجابات المصرية المتعلقة بالتصفيق. وبمرور أربع سنوات على هذا المصنف، أصدر الباحث مصنفا آخر يندرج ضمن الممارسة التطبيقية، وفيه حلل وقارب معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة بمصر، وأسماه بـ**"بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة"**، وتم إصداره سنة 2013م، يقول (الحساني علي حسين) مبينا هذه الإشارات: "واليوم من أبرز من أراد للبلاغة أن تنهض بقضايا المجتمع هو البلاغيّ المعاصر د .عماد عبداللطيف، صاحب أطروحة بلاغة

الجمهور، ومن أبحاثه وتنظيراته في هذا المجال والذي أفاد الباحثين كثيرا، ولا سيما بحثه التأسيسيّ "بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطويّ إلى مقاومته"، وكتابه: "لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن"، بوصفه جانبا من الجوانب التطبيقيّة لأطروحة "بلاغة الجمهور"، وهي تكشف مواطن استدراج الجمهور نحو تأييد الخطاب السياسيّ عبر فعل التصفيق"[5] .

يزكي النصُ الإشاراتِ التي تحدثنا عنها فيما يتعلق بالتأسيس النظري للمقاربة وممارستها التطبيقية، ولم يتوقف التأسيس عند هذا الحد، بل جاءت بعدها دراسات وأبحاث كثيرة، منها التي أعادت التفصيل في الإطار النظري، ومنها التي اختصت بتوسيع دائرة التحليل والجوانب التطبيقية، بالاشتغال على مدونة خطابية موسعة، ومن ثمة، فقد لقيت المقاربة إقبالا كبيرا من لدن المؤسسات العلمية والجامعية ومن قبل الباحثين، ولم يعد بقدرتنا إحصاء الأبحاث والمصنفات التي تندرج ضمن هذا المجال، وما نؤكده أن عماد عبد اللطيف قد وسع دائرة البحث في البلاغة ووضع أمام الباحثين مشاريع بحثية كثيرة، ووضح أن مقاربته الخلّاقة تحتضن مادة بلاغية لم تلتفت إليها أعين البلاغيين قديما وحديثا، والباحث نفسه يصرح بهذا في قوله: "تفتح بلاغة الجمهور باب البحث البلاغي على مصراعيه؛ ليحتضن فيضا من المادة البلاغية الجديدة التي لم تلتفت لها عيون البلاغيين من قبل؛ مثل التصفيق، والهتاف، والصفير، والإشارات، والهمهمة، والتعليقات، والمقاطعة، والأسئلة المرتجلة، وصيحات الإعجاب والاستهجان، ورسوم الحوائط، والعبارات المدونة على الأبواب، وتعليقات الفيسبوك، والتغريدات المضادة، والعبارات المسجلة على شريط التعليقات على شاشة التلفزيون، ورسائل القراء إلى الصحف، وغيرها، وهي استجابات تنتج في جميع سياقات التواصل العمومي، التقني والمباشر في الوقت الراهن"[6]

قدمت بلاغة الجمهور للبلاغة العربية –حسب منطوق النص- مادة بلاغية خصيبة، كلها متعلقة بخطابات الحياة اليومية للأفراد والمخاطبين، إنها أغنت الدرس البلاغي العربي، وأضافت إليه شجرة مثمرة ومتنوعة من الخطابات التي تحضر فيها الاستجابات البليغة وتعمل المقاربة على تعيينها وتحقيقها، و"إن مفهوم الاستجابة مرتبط في بلاغة الجمهور بالبعد المادي المرئي الذي ينتجه الجمهور بتعرضه لخطاب ما[7] . وينتج ما لا حصر له من الاستجابات التي

تسهم في التأكيد على أن المخاطبين بليغين، وقادرين على معارضة الخطابات السلطوية. وقد "اختصت بلاغة الجمهور بدراسة العلاقة بين هذه الاستجابات وطرق تشكل الخطاب الذي تستجيب له وأدائه وتداوله؛ بهدف تقديم معرفة موجَّهة للمخاطب/الجمهور تحديدًا، تُمكِّنه من إنتاج" استجابة بليغة"؛ أي استجابة مقاومة للخطابات السلطوية التي تمارِس تمييزا أو تلاعبًا أو عنصرية أو قهرا أو إقصاءً أو استبدادًا. منذ ذلك الحين، وُظِّفت بلاغة الجمهور في دراسة استجابات فردية وجماعية في سياقات واقعية فعلية متنوعة، تشمل السياسي والديني والاجتماعي والرياضي والفني والأدبي"[8].

ثانيا: دواعي اقتراح بلاغة الجمهور في الأدب

بعد الجهود التأسيسية لبناء توجه بلاغة الجمهور وتحديد أسسه وآليات اشتغاله ومقترحاته التحليلية، وتوضيح سؤال الغاية والموضوع والوظيفة، أمسى التوجه في مختبر الأسئلة والتساؤلات، حيث إن الإشكال الأساس المتولد من مختلف المساءلات المؤشكلةَ، هو علاقة بلاغة الجمهور بالأدب؟ وكيف يمكن أن نستثمر التوجه في مقاربة وتحليل النصوص السردية الطويلة والقصيرة؟ وما يتعلق بالأدب المنظوم والمنثور عامة، ومن ثمة، استطاع الباحث عماد عبد اللطيف وضع حقل معرفي جديد داخل بلاغة الجمهور يسعف الباحثين على تطبيقه والاشتغال عليه في مقاربة النص الأدبي بوصفه خطابا بليغا، تتولد في داخله استجابات بليغة فيسمى بلاغة الجمهور في الأدب، أو تتولد عنه فيسمى بلاغة الجمهور للأدب، وهما مقترحان اشتغل عليهما الباحث، ووضحهما، وبين القارق والجامع بينهما، فالجامع أنهما يدرسان الاستجابات البليغة في النص السردي، والفارق، أن بلاغة الجمهور في الأدب نسقية، حيث يتم دراسة الاستجابة داخل النص الأدبي إما عبر الشخصيات أو الأمكنة أو الحوارات. وبلاغة الجمهور حول الأدب أو للأدب، ندرس فيها أهم الاستجابات التي أنتجت عن الرواية أو القصة، حيث يتم دراسة استجابات الجمهور عنها في فضاءات متنوعة، إما في المواقع الافتراضية أو الندوات والمؤتمرات، وغيرها من الفضاءات.

وتهدف بلاغة الجمهور في اقتراحها لحقل دراسة الأدب، إلى سد فجوتين معرفيتين، واحدة تتعلق بكيفية تلقي الجمهور للأدب، والثانية بدراسة كيفية تعبير الأدب عن الخطابات السلطوية، وهو ما تمت الإشارة إليه آنفا، يقول عماد عبد اللطيف: "بهدف اقتراح حقل لدراسة

استجابات الجمهور في الأدب إلى سد فجوتين في المعارف المتاحة حاليًا للباحثين. الفجوة الأولى موجودة في دراسات بلاغة الجمهور، إذ لم تُعن حتى الآن باستكشاف الاستجابات المنتجة في عوالم أدبية متخيلة؛ بسبب التركيز على الاستجابات الفعلية التي يُنتجها الجمهور في العالم الحقيقي. وباقتراح حقل دراسات الجمهور في الأدب تكتمل خريطة الحقول الفرعية المعنية بمنطقة التقاطع بين دراسات الأدب وبلاغة الجمهور. ويصبح لدى المعنيين بهذه التقاطعات حقلين معرفيين مختلفين"[9] .

يظهر النص أن الفجوة الأولى التي تحدد سبب اقتراح حقل الأدب في بلاغة الجمهور، مرتبطٌ أساسا بدراسة الاستجابات البليغة التي ينتجها الجمهور عن أدب معين، وفي منابر مختلفة، حيث يتم دراسة ردود أفعال الجمهور الحقيقي في تعرضه وقراءته للنص روائي أو قصة معنية أو قصيدة شعرية، ويتم تحديد العينة بناء على صيحة الانتقادات والإعجابات والمشاركات والندوات، ونحدد الجمهور في منصة رسمية لها علاقة بالنص الأدبي المدروس، وغالبا ما تتعلق الاستجابات البليغة بالأعمال السردية والشعرية المشهورة حيث تنال الحظ الأوفر في الجامعات والشوارع والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، وتسلط على صاحبها النظرة، بغية فهم القصدية من العمل، وخاصة كلما ارتبط العمل بجوانب السلطة والدين والأخلاق، ولعل أعمال الكاتب السياسي حسن أوريد أكثر الأعمال خلقا للاستجابات النقدية الجماهيرية، بحكم أن أعماله تحظى بإقبال كبير لدى القراء، ومن ثمة، فإنه يتيح فرصة للجمهور القارئ للتفكير في الرواية أو العمل وتصنيفه ونقده وتحديد مضامينه ومقاصده، ومنها أعمال الكاتب الشاب طارق بكاري، والفيلسوف طه عبد الرحمان وعبد الله العروي، والكاتب عبد الفتاح كيليطو، وعبد الإله بلقزيز، إننا نفهم من هذا الاقتراح أن الجمهور يمتلك وعيا نقديا في إنتاج استجابات بليغة عن بعض الأعمال الأدبية التي تكون مناقضة للسلطة، أو تتحدث عن بعض القضايا السياسية والدينية. وبخصوص الفجوة الثانية المرتبطة باقتراح حقل الأدب في بلاغة الجمهور، فترتبط بدراسة أهم الاستجابات النقدية داخل العمل الأدبي، انطلاقا من دراسة أقوال شخصية متخيلة أو تتبع دلالة الأماكن والفضاءات البلاغية، يقول الباحث عماد عبد اللطيف عنها: "أما الفجوة الثانية فتتصل بدراسات الأدب ذاتها، وتتعلق بعدم وجود حقل معرفي يُعنى بدراسة الجمهور بوصفه شخصية متخيلة داخل الأعمال الأدبية، من

زاوية كيفية تعاطيه مع الخطابات السلطوية التي يتعرض لها. وذلك على الرغم من وجود متن شاسع من الأعمال الأدبية التي يُمكن مقاربتها من هذه الزاوية"[10] .

يرتبط هذا الحقل البلاغي في الأدب بالجمهور المتخيل داخل الأعمال الأدبية، حيث يتم دراسة أهم الاستجابات البليغة وغير البليغة بتحليل الجمهور المتخيل داخل الأعمال، ليكون الفارق بين المقترحين أن بلاغة الجمهور حول الأدب أو للأدب يكون جمهورها واقعيا، وبخصوص بلاغة الجمهور في الأدب، فيكون جمهورها متخيلا وداخل العمل الأدبي نفسه، حيث لا يكون منفصلا عن الأحداث والأماكن والفضاءات، والمشترك بينهما هو توليد الاستجابات، ويمكن أن نفسر هذا الأمر بمسألة الرؤية السردية، حيث إن الجمهور الواقعي تكون رؤيته من خلف، معناه أن الاستجابات تكون "من خلف" العمل الأدبي المقروء، بينما أن رؤية الجمهور المتخيل تكون رؤيتها "مع"، معناه أن الاستجابات تكون من جمهور يعيش داخل العمل الأدبي، فالأول يعنى "بدراسة استجابات الجمهور الفعلي للأدب الذي يتلقاه، ويُعنى الثاني باستجابات الجمهور المتخيل داخل الأعمال الأدبية. وفي الحالين يهتم الباحثون برصد الاستجابات، وتصنيفها علاماتيًا ووظيفيًا، وفحص علاقاتها بالخطاب الأصلي، وفعاليتها في مقاومة الخطابات السلطوية"[11]. والسؤال الذي يفرض نفسه هاهنا، بعد استيضاح دواعي اقتراح حقل الأدب في بلاغة الجمهور، هو ما طبيعة الأعمال السردية والشعرية التي يمكن للجمهور فحصها أو للناقد البلاغي دراستها بناء على توجه بلاغة الجمهور؟ وبصيغة أخرى هل كل الأعمال الأدبية يمكن دراسة فعل الاستجابة فيها وعنها باعتماد توجه بلاغة الجمهور؟ ونجيب عن السؤال بناء على ما أسفر عنه الباحث عماد عبد اللطيف؛ إذ وضّح مميزات الأعمال الأدبية التي تنفتح عليها بلاغة الجمهور، وظاهرة في تلك التي تحمل صورا وحكايات وأحداثا عن الاستعمار السياسية والمجازر السياسية التي ارتكبها نظام سياسي معين، وتنقل صورة عن أشكال المقاومة والنضال والتحرر من أنظمة السلطة، وتعبر عن الفئات المهمشة والمضطهدة، وتحمل أفكارا عن الجماهير والشعوب التي ناضلت وقاومت بالفكر والكلمة والفن، وتبنت الأفكار الثورية والتحررية، وحاربت الظلم والاستبداد، وكشفت زيف النظريات التي تزعم تبني التحرر القومي ونشر قيم العدل والمساواة، فكل عمل تحضر فيه هذه المسائل فهو عمل تقترب منه بلاغة الجمهور، وتعمل على كشف طريقة التسريد البلاغي للجمهور الواقعي والمتخيل في خلق

الاستجابات وتوليدها، ويتجلى هذا في قول الباحث عماد عبد اللطيف: "تحفل معظم الأعمال الروائية العربية بمعالجات سردية لموضوعات تخص بلاغة الجمهور؛ منها أشكال الاستجابة للخطابات السلطوية، وخصائص الجماهير المقاومة، وأنواع الاستجابات البليغة، وغيرها. يمكن للباحثين المهتمين بدراسة الأدب العربي أو غير العربي من منظور بلاغة الجمهور التصدي لدراسة هذه الموضوعات ومثيلاتها في مدونة الأدب العربي التراثي والحديث. وهي مدونة شاسعة بحق، تحتاج إلى فحص واستكشاف. وبالطبع فإن المدونة التي تصلح للمعالجة من منظور بلاغة الجمهور لا تستوعب الأدب كله، وإن كانت تستوعب جُلَّه"[12] .

تعنى بلاغة الجمهور داخل الحقل الأدبي، بدراسة الأعمال السردية والشعرية التي تناهض الاستعمار والخطابات السلطوية وتحارب أشكال القهر والظلم والاستبداد، وتتصدى للقمع والمذابح وتندد بالإرهاب وقتل الأطفال وسفك الدماء وانتهاك حقوق الفئات الضعيفة، يقول الباحث: "فمعظم الأعمال الروائية والقصصية والمسرحية والسردية عمومًا المعنية بسرديات التحرر من الاستعمار، ومقاومة الاستبداد، والتصدي للهيمنة والظلم الاجتماعي، تُقدِّم مدونة خصبة لدراسة بلاغة الجمهور في الأدب. على نحو ما يتجلى– على سبيل المثال -في جُلِّ أعمال عبد الرحمن منيف، وصنع الله إبراهيم، وغسان كنفاني، ومحمد البساطي، وبهاء طاهر، ومحمد المخزنجي، ونجيب محفوظ، ومسرحيات صلاح عبد الصبور الشعرية، ودواوين أمل دنقل، ومئات أخرى من الأعمال الأدبية المعنية باستجابات الشعوب المقاومة للاستعمار والاستبداد والقهر" [13].

يحدد النص أهم الخصائص المميزة لطبيعة الأعمال السردية التي تخصها بلاغة الجمهور بالدراسة والتحليل وكشف الاستجابات النقدية البليغة، فكلها أعمال تقوم على التسريد التحرري والمناقض للخطابات والسلطوية، وقد ساق عن ذلك أمثلة لبعض الأعمال السردية والشعرية التي يمكن أن يقاربها الباحثون باستخدام توجه بلاغة الجمهور في علاقته بالحقل الأدبي، ولا يقتصر الأمر "على الأنواع السردية الحديثة، بل يشمل الآداب الشعبية مثل السير الشعبية، وألف ليلة وليلة، والمسلسلات الإذاعية، والأفلام السينمائية، وغيرها من السرديات المقروءة والمصوَّرة والمؤدَّاة التي تسرد استجابات الجمهور للقهر والاحتلال والتسلط. وباختصار، فإن دراسة بلاغة الجمهور في نص أدبي ما ممكنة حيثما وجِدت فيه شخصيات

متخيلة تُنتج استجابات للخطابات السلطوية في فضاءات عمومية، سواء بهدف مقاومتها أو دعمها"[14] . ويظل مسعانا بهذا التأطير النظري هو ربط التوجه البلاغي الجديد بالأدب العربي القديم، من خلال الانفتاح على مدونة نصية أدبية عربية قديمة، نجد فيها ملامح الاستجابات البليغة في خطابات العوام، ومن ذلك ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والسيف والقلم، والأمثال الشعبية والحكم والرسائل والمناظرات، وأدب المجانين والطفيليين، وغيرها من أنواع الآداب القديمة، التي يمكن أن نقاربها مقاربة بلاغية بالاشتغال على آليات بلاغة الجمهور، وقد اخترنا لتأكيد هذا المعطى الاشتغال على رسالة ميمون الواسطي المجنون إلى الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث سأعمل على تحديد تجليات الاستجابة البليغة فيها.

ثالثا: الاستجابة البليغة وغير البليغة في الأدب

خلص رواد توجه البلاغة العامة إلى أن جناحي البلاغة العامة هما الإقناع والإمتاع، أما الجناح الخاص ببلاغة الجمهور هو الاستجابة البليغة، بكونها مجموعة من العلامات التي ينتجها الجمهور أثناء تعرضه لخطاب معين، وتكون العلامات لغوية وغير لغويةٍ، وتتعدد الاستجابات بتعدد الجماهير، وتكون فردية وجماعية وسياسية واجتماعية وأخلاقية ودينية ونقدية، فالاستجابة مفهوم "يشير إلى العلامات اللغوية وغير اللغوية التي يُنتجها الجمهور/المخاطب في سياقات التواصل العمومي بهدف دعم الخطابات التحررية، ومقاومة الخطابات السلطوية"[15] . والسؤال المطروح هاهنا، هو متى تكون الاستجابات بليغة وغير بليغة؟ وحدد عماد عبد اللطيف الفارق في أن الاستجابة تكون بليغة متى عارضت الخطابات السلطوية وانتقدت الظلم والقهر والاستبداد، ويكون الخطاب بليغا إذا كان حاملا لصوت الجمهور والشعوب المقهورة والمظلومة بضمير المفرد أو الجمع، وتكون الاستجابةُ غيرَ بليغةٍ إذا كانت مؤيدة للسلطة وموافقة على الظلم والجرائم والمذابح المرتكبة في حق الشعوب، وينافي الخطاب الاستجابة البليغة إذا كانَ مؤيدا لجهات سلطوية، "فإن الاستجابات غير البليغة هي ما ينتجه الجمهور من علامات لغوية وغير لغوية تدعم الخطابات السلطوية، وتقاوم الخطابات التحررية. في هذا الإطار عُرِّف الخطاب السلطوي بأنه الخطاب الذي يُمارس تلاعبًا أو هيمنة أو تمييزا أو إقصاءً أو قهرًا أو عنصرية أو كراهية. أما الخطابات التحررية فهي التي تخلو من الأشكال السابقة من إساءة استعمال الخطاب"[16] . وبناء على ذلك يمكن أن نشير إلى أنواع فيما يلي:

1. **الاستجابة الفردية:** هي الاستجابة التي تكون من فرد واحد ولكنّها تعبر عن جماعة من الناس، حيث ينوب فيها الفرد عن آراء وأفكار شعبية ويحمل هموم الشعوب المقهورة، ونجد هذا حاضرا في النصوص الشعرية الأدبية، أمثال شعر أحمد مطر ومحمود درويش ومحمد الجواهري، وهشام الجخ، وتحضر أيضا في أغاني فن الراب والأغاني الشعبية القديمة، إنّ دورها أن الفرد الواحد يعبر بضمير الجماعة، وقد يعبر بضمير المفرد لكن غايته هو الدفاع عن الشعوب والجماهير ومناصرة قضاياها، ولعل تحمل مجموعة من الصفحات الافتراضية التي تحظى بمتابعة كبيرة تحاول أن تصور قضايا الناس، وتنقلها على شكل نصوص أو صور أو أشرطة فيديو، ويمكن أن نفحص هذه الاستجابة في النصوص العربية القديمة، خاصة وأن الشاعر كان لسان القبيلة وكان الوجه الإعلامي للمكان الذي ولد فيه، ونقل الاستجابة من ضمير المفرد إلى الجمع يحتاج إلى دمغة تأويلية تعمل على بيان دلالات ومعاني المخاطب.
2. **الاستجابة الجماعية:** أقرب المفاهيم السردية لمفهوم الاستجابة الجماعية هو الحوارية وتعدد الأصوات، وتحضر كثيرا في الأعمال الروائية والقصصية، حيث تعبّر الشخصيات المتخيلة داخل العمل السردي عن آراء سياسية وفكرية واجتماعية وأخلاقية، وفي المقابل تتولد استجابات جماعية من الجمهور الواقعي الذي يتأثر بالعمل بعد قراءته، وإن أكثر الفضاءات حملا للاستجابات الجماعية هي المواقع الافتراضية، حيث نجد فيها الكثير من الخطابات التي تحمل استجابات بليغة، ولعل فضاء المكان أيضا حامل لهذا النوع من الاستجابات، ويتحقق ذلك في المدرجات التي أضحت بديلا استراتيجيا للفضاءات العمومية المعبرة عن صوت الشعوب، ويتجلى أيضا في ساحات التجمعات الشعبية، ومثال ذلك جامع الفناء بمراكش وغيرها من الساحات الفنية، التي تعبر بحق عن مظاهر الظلم والاستبداد، فالاستجابة الجماعية مع التطور التقني والرقمي أضحت الأكثر خلقا وتولدا، وتحضر في مدونة خطابية لا متناهية.
3. **الاستجابة السياسية:** لا يهم أن الاستجابة السياسية جماعية أو فردية، بقدر ما يهم أن تكون من مخاطب عامي وفي خطاب عمومي يحمل وعيا سياسيا من جهة ونقدا للسياسة نفسها من جهة أخرى، إن الاستجابة السياسية هي أن يحمل النص أو الخطاب أفكارا

وصورا عن قضايا سياسية تشغل بال اللحظات الراهنة وخاطر الشعوب المعايشة لها، فكل الخطابات العامة التي تحارب الظلم والقهر والاستبداد والتنكيل والرفس وتعبر عن فشل الأنظمة السياسية التحررية هي حمّالة استجابات سياسية، فقد أضحت الشعوب الهائلة في المواقع الافتراضية وفي الواقع ممتلكة لوعي سياسي ضد كل السياسات السلطوية وقادرة على معارضتها وكشف أغاليطها وتفكيكها وانتقادها، ووضعها أمام الحقيقة، ويمكن أن نفحص بهذه الاستجابة الكثير من النصوص الأدبية المشهورة والمغمورة، فقط يشترط أن تكون أعمالا سياسية.

4. **الاستجابة الثقافية:** ترتبط هذه الاستجابة بالقضايا الفكرية والثقافية التي تعبر عنها فئة عامة يُظنّ أنها ليست بليغةً وغير واعية، وتعمل بلاغة الجمهور على دراسة خطابات هامشية وعمومية وتبحث فيها عن الإشارات الثقافية بوصفها استجابات، ففي خطاب الألتراسات نجد وعيا نقديا وسياسيا ودينيا وأخلاقيا، وهذه معطيات ثقافية تبين أن هذه الفصائل لا ينشط أعضاؤها جميعا في التلصص والسرقة والمخدرات ونشر القيم الخبيثة، ويتم فحصها أيضا في مواقع التواصل الاجتماعي، بتحديد كيفية تفاعل الجماهير مع القضايا الوطنية والمحلية والدولية، فقد عاش العالم الإسلامي مثلا مجموعة من الأحداث وعرف قضايا مستجدة، وقد شهدت تفاعلا كبيرا من قبل الجمهور في التويتر والفايسبوك واليوتيوب وغيرها من المنصات الأكثر شعبية في العالم، لم يعد الفضاء العام فضاءً تخاض فيه الموضوعات التافهة، ففي القهوات يتم مناقشة مختلف القضايا، وفي المدرجات توجد فئة شبابية تبحث عن الحرية وتتابع الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالبلاد، وتتفاعل معها عبر إصدار بلاغات خطابية أو القيام بحملات توعوية.

5. **الاستجابة الأسلوبية:** هي الاستجابة التي تقوم على دراسة اللغة بغية بيان كيفية توظيف الجمهور لها للتعبير عن رأيه في قضية من القضايا؛ فالجوانب الأسلوبية واللغوية تحظى بأهمية كبيرة في بلاغة الجمهور؛ لأنها الوسيلة التي يستثمرها الناقد البلاغي من أجل تحقيق الأهداف البلاغية، وبناء على الأثر الفعّال الذي تخلقه الجماهير في المواقع الافتراضية والواقع، فإن بلاغة الجمهور تفحص الأسلوب واللغة لتبين الوظائف الهامة للغة الجماهير وتحديد دورها في معارضة خطابات السلطة والتعبير عن أفكارها تجاه

مظاهر الظلم والفساد والاستبداد والقهر، ولا يمكن إطلاقا عن الاستغناء عن الاستجابة الأسلوبية، إذ بها يتم دراسة المعجم في الخطابات العامة والأعمال السردية، وتحديد جوانبه الإيديولوجية، ودراسة طبيعة الأفعال الموظفة، وبيان دلالات الأساليب الإنشائية والطلبية، والبحث عن التناصات الدينية والاجتماعية والسياسية، وهذا كله يؤكد أهمية الاستجابات الأسلوبية في التحليل ودورها في الكشف عن التجليات البلاغية لدى الجماهير.

6. **الاستجابة الدينية:** للخطاب الديني في الخطابات العامة حضور بارز، يتجلى في أنه محدد لمعطى الاستجابة الدينية، وتحضر في التفاعلات التي تكون من قبل الجماهير مع القضايا السياسية والاجتماعية في مواقع التواصل الاجتماعي، أو التفاعل مثلا مع الكوارث الطبيعية، وتفسير أهم الأحداث والوقائع الراهنة، ومن ثمة، إن بلاغة الجمهور في مقاربتها للنصوص والخطابات العمومية، تجعل الاستجابة الدينية أداة لفهم مقاصد المخاطبين، وفي الأعمال السردية تحضر شخصيات متخيلة تتبنى الفكر الديني والقضايا الدينية، من قبيل شخصية الرجل المتصوف في كتابات نجيب محفوظ وطه حسين وشكري وأيمن العتوم وأدهم الشرقاوي، وتحضر أيضا في النصوص التي تعالج التطرف الديني والإرهاب والتطهير العرقي والصراعات الدينية، والنصوص الروائية الشيعية، وفي خطاب الأغاني الشعبية وفصائل كرة القدم وفن الراب، حينما تدعو إلى التشبث بالقيم الإسلامية، والدفاع عن أهم المقدسات، ويبدو من خلال الاستطلاعات التفاعلية في المواقع الافتراضية أن أكثر الموضوعات التي يخوض فيها الجمهور تكون دينية، حتى في الأحداث الأخيرة التي أصابت العالم، فقد وجهت في غالبيتها إلى معطى ديني، وهذا يحدد قيمة الاستجابة الدينية ودورها الفعال في كشف بلاغة المخاطبين.

7. **الاستجابة الأخلاقية:** هي الاستجابة التي تفحصها بلاغة الجمهور من النصوص والخطابات التي تتناول موضوعات أخلاقية، تعبر بالأساس عن القيم الإسلامية والإنسانية، وتكون حاضرة في الأعمال السردية والمواقع الافتراضية والأغاني الشعبية والصور والجداريات وفي خطاب فصائل كرة القدم، وفي الأدب تمثل أعمال المقاومة وطه حسين ونجيب محفوظ والعقاد وغسان كنفاني ورضوى عاشور ومحمد الشكري والطاهر بن جلون، مادة غزيرة في

هذا المعطى، ومن ثمة، إن حضور الخطاب الأخلاقي في الخطابات العمومية هدفه تقديم إشارات عن طبيعة القيم التي تسود في الجماهير.

8. **الاستجابة الاجتماعية:** هي الاستجابة التي يتناول فيها الجمهور قضايا اجتماعية من قبيل الهجرة والفقر والاضطهاد ويطالب فيها بإصلاح التعليم والصحة، وأمسى يتناقش فيها في مواقع افتراضية وفضاءات عمومية، ويحظى الأدب بحظ وافر من هذه القضايا الاجتماعية المتعلقة بالاستجابة وموضوعات المجتمع، حيث إنه عبر شخصيات متخيلة يتم التعبير عن وعي جماهيري يخص المطالب الاجتماعية، وهناك أعمال روائية وشعرية تحمل بعدا من هذه الأبعاد، والمدرجات أيضا شكل من أشكال المقاومة حيث تنقل صورا عن الواقع المعيش، وتصور مشاكل المجتمع، ومن ثمة، فتعمل بلاغة الجمهور على فحص الاستجابة وتحديد تجلياتها البلاغية البليغة.

إن المخاطب - بناء على الإشارات السابقة- قادر على إنتاج استجابات بليغة، وأمسى له الدور في خلق الأثر، والمشاركة في الإقناع والاستهواء والإمتاع والتأثير، بل إنه مشارك في عملية الوعي والنقد، وتعمل بلاغة الجمهور بدراستها للاستجابات على كشف الملامح البلاغية في الخطابات العمومية، وانفتاحها على الأدب يؤكد بالملموس وجود أعمال جماهيرية تحوي كما هائلا من الاستجابات المتنوعة، وتحتاج إلى دراسات تعمل على كشف ملامحها البلاغية والأسلوبية والسردية، وبيان دورها في توعية الجمهور، و"إن استكشاف بلاغة الجمهور في الأدب قد يكون في ذاته فعل مقاومة للخطابات السلطوية الراهنة، ففحص المعالجات السردية التي يقدمها الأدب للخطابات السلطوية والتحررية قد تُمكننا من فهم ظروف إنتاج هذه الخطابات، وكيفية عملها، والمؤثرات في تلقيها، وكيفية دعمها أو مقاومتها. وكما تعلَّم المرء من الأعمال الأدبية العظيمة الكثير من بلاغته كمتكلم، فإنه يستطيع التعلم من هذه الأعمال الكثير من بلاغته كمخاطب وجمهور"[17].

وأشار الباحث عماد عبد اللطيف إلى أنّ العالم الفعلي والواقع المعيش للجماهير هو المصدر الأول لهذه الاستجابات، حيث إن الاهتمام مرتبط أساسا بسياقات الفعل التواصلي للحياة اليومية وسلوكات الأفراد وأفعالهم، و"وتزداد أهمية دراسة الاستجابات البليغة في الأعمال السردية في ضوء أمرين مهمين، يتعلقان بالنظر إلى العلاقة بين المتخيل والواقعي في السرد

القصصي من ناحية، ووظيفة الإبداع في مجتمعات القهر تحديدًا من ناحية أخرى"[18] . ويلعب الأدب دورا هاما في تطوير وعي الجماهير والمجتمعات، ونقل رسائلهم وأفكارهم، ويعبر عن الثقافات والتوجهات السياسية والأخلاقية والدينية، وبات النص الأدبي مع ظهور المناهج النقدية وثيقة تاريخية ونفسية واجتماعية وفلسفية، الغرض الأساس منها فهم المجتمع والتعرف على مشاعره وأحاسيسه ومعرفة تاريخه، وبظهور توجه بلاغة الجمهور أصبحنا في حاجة ملحة لمن يكشف عن المخاطب في الأعمال الأدبية، ويدرس استجاباته بوصفه شريكا واقعيا في توليد الاستجابات من جهة، وبوصفه متخيلا من جهة ثانية، "يسعى الحقل الفرعي لبلاغة الجمهور في الأدب إلى الإفادة من الذخيرة الأدبية هائلة الثراء في فهم الاستجابات اللغوية وغير اللغوية التي يُنتجها الأفراد- منفردين أو في إطار جماعات- في سياق تعرضهم للخطاب السلطوي .واستكشاف آليات المقاومة التي يطورونها للتعامل مع خطابات القهر التي يتعرضون لها. وأرجو أن يكون هذا البحث تعبيدًا لهذا الطريق أمام السالكين"[19] .

رابعا: بلاغة الجمهور في أدب الجنون: دراسة بلاغية في حوار ميمون الواسطي مع الحجاج بن يوسف الثقفي

وقف الجانب الأول من الدراسة على إيضاح الجوانب المنهجية والنظرية المتعلقة ببلاغة الجمهور في الأدب، وسيتم استثمار ما تمت الإشارة إليه في مقاربتنا للحوار الذي دار بين ميمون الواسطي والحجاج، والغرض الأساس من هذه المحاولة السعي إلى دراسة الأدب العربي القديم باستخدام آليات بلاغة الجمهور، وتم ذلك باختيار أدب الجنون أو المجانين نموذجا لتحقيق ذلك، حيث إن المشهور أن كلام المجانين لا يعتدّ به ولا يمكن أن يكون كلاما بليغا وبلاغيا، إلا أنهم يمتلكون بلاغة تستحق الدراسة والكشف، هو ما صرح به ابن عبد ربه في العقد الفريد، بقوله: "وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله، كما قالوا: ربّ رمية من غير رام"[20] . يزكي القول كون خطاب الجنون والمجانين بلاغيا، بحكم ما يأتي فيه من الحكم والنوادر التي لم يسمع بمثلها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في العقد الفريد، حيث قيل للدغة: "أي بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يفيق، والغائب حتى يرجع"[21] . فقد كانت لدغة مجنونة، وأورد ابن عبد ربه الكلام في حديثه عن حكم المجانين، فسئلت في النص عن أحب الأبناء لها، ولم تجب إجابة مباشرة، بل اختارت جوابا بلاغيا بليغا، إذ أحب الأبناء إليها

صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يتعافى ويفيق، وغائبهم حتى يعود، ولعلها بهذا القول تحدد مشاعر الأمومة مع أبنائها، حيث إن أحاسيسها مختلفة تمام الاختلاف عن باقي المشاعر الأخرى، ولا تجهل بهذا القول معنى الأمومة، التي تجعلها تُشعِرُ الأطفال بالدفء وتشعرهم بالحنان، وتحضنهم وتلاعبهم. ومما يبرز بلاغة المجانين ما جاء في "الإمتاع والمؤانسة"، حيث "حكى في معرض حديث أبي بكر قال: كتب مجنون إلى مجنون: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، حفظك الله، وأبقاك الله، كتبت إليك ودجلة تطغى، وسفن الموصل ها هي، وما يزداد الصّبيان، إلا شرّا، ولا الحجارة إلا كثرة، فإيّاك والمرق فإنّه شرّ طعام في الدّنيا، ولا تبت إلّا وعند رأسك حجر أو حجران، فإنّ الأخير يقول: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ" [الأنفال: 60] . وكتبت إليك لثلاث عشرة وأربعين ليلة خلت من عاشوراء سنة الكمأة»[22] .

– تبين رسالة المجنون مظهرا من المظاهر البلاغية في أدب المجانين، إذ هو أدب تتولد منه إشارات ثقافية واجتماعية ودينية بمثابة استجابات توضح مدى قدرة المجنون على التأثير والإقناع والإمتاع، ونرى أن المجنون كما جاء في النص- قد افتتح كلامه بالدعاء كاستجابة دينية وأدبية تسفر عن وعيه بخصائص فن التراسل، وإعلائه من شأنه الدعاء وقيمته، وفيه قيمة سياسية تتجلى في بيان حال دجلة والموصل من الظلم والطغيان والقهر، واستجابة اجتماعية تتبدى في التحول الاجتماعي في الصبيان الذين أمسوا قريبين من الشر والمساوئ، واستجابة بليغة نقدية، تظهر في النصح والإرشاد بغية الابتعاد عن المرق في الطعام وعدم الإكثار منه، كما يوجه النصيحة لعدم الثقة في الناس، وضرورة النوم بوضع احتياطات كبيرة ، كما استحضر الآية القرآنية الدالة على الاستعداد للأعداء بكل قوة، إننا نفهم من الإشارات السابقة أن خطاب الجنون في الثقافة العربية بوصفه خطابا عاما، يستحق البحث والدراسة والتحليل، وتعمل بلاغة الجمهور على معرفة الخطاب البليغ لدى المجانين بدراسة اللغة باعتبارها وسيطا محققا لأهداف المجنون وغاية المقاربة، وهذا ما سيتحقق من خلال مقاربتنا لخطاب ميمون الواسطي المجنون[23] في المتن الآتي:

متن الدراسة التطبيقية

حديث ميمون الواسطي المجنون مع الحجاج

"قال المسيب بن شريك بلغني أن ميمون الواسطي المجنون أُدخل على الحجاج بن يوسف وكان ميمون بليغاً عابداً فقال له الحجاج: أتجنن أهل مثل هذا الكلام وتسمى مجنوناً؟ فقال يا حجاج! إن أهل البطالة إذا نظروا لأهل المحبة سموهم مجانين وقد سبق القول منهم، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا: لا تضمنون بيوم الحساب، وأنت يا حجاج! لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، ولبس اللين، ولكنه استقذرك، فطردك، ولو أرادك لاستعملك. إن لله عباداً مطهرين مطيعين، بالعبادة مشتغلين، وهم ثلاثة أصناف: فقوماً عبدوه شوقاً إليه، فقلوبهم لا تشتغل بغيره، لأن قلوبهم قد ألفت، وسقاهم ربهم بكأس الوداد شربةً فقاموا شوقاً، فلا تحط رحالهم إلا في قرب الله. فهم خاصته في أرضه. وقوماً عبدوه خوفاً من النار، لما سمعوا قوله تعالى: "قووا أنفسكم وأهليكم ناراً " فحذروا وبادروا واجتهدوا خوفاً من النار من تحتهم ومن فوقهم وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. فالأفاعي تلسعهم، والعقارب تلذغهم، كلما استغاثوا جدد لهم العذاب، وهو عدل من الرحمن. وقوماً عبدوه طمعاً في الجنة دار أوليائه، محل أصفيائه. لما سمعوا قوله تعالى: "سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار "فصبروا على الألم، حتى استوجبوا الرضى، والعفو عما مضى، فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه، ليسكنهم في قصور من فضة، وخيام مزينة، ومجالس متخذة، والحور أزواجهم، والطير يظلهم، والملائكة تخدمهم. فقال الحجاج يا ميمون! وصفت الجنة ولم تصف أزواجها، فهل لك أن أُريك شيئاً يذهل عقلك، ويلجلج لسانك؟ ثم نادى الحجاج يا أملس! فخرجت جارية معتدلة القامة، في حسن تام، عليها قباء رقيق وهي تمشي وتخطر، ولها ذوائب قد جللت أكتافها. فلما نظر إليها ميمون قال: ويحك يا حجاج! ما تصنع بهذه الجارية ولها أجل مسمى، وأيام محصاة؟ ثم اخرج من كمه رغيفاً يابساً فقال يا حجاج! انظر إلى هذا الرغيف ويبوسته، إن أطعمته جائعاً ملهوفاً رجوت الله أن يزجني جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها، وكأن الغنج يجري في حركاتها فأُطرب، وتكلمني فأُنعم، وأرجو أن أكون قد استوجبتها في هذا الوقت لقولي الحق، وتركي الهوى. قال الحجاج يا ميمون: امدحني فأُحسن جائزتك. قال يا حجاج! والله ما أعرف فيك خيراً فأقوله. وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك، ولكن ما أذم الناس، لأن في نفسي ما شغلني عن عيب غيري. قال الحجاج: قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم. قال: المال فرده إلى الموضع الذي سرق منه، ولا تكن لصاً جواداً تجود به على من ان ذمك لا يضرك، وإن مدحك لا ينفعك. خلي سبيلي أسأل الله بقوت يغني عن نوالك ونوال أضرابك".

I. ما يجوّز مقاربة حديث ميمون الواسطي ببلاغة الجمهور:

إن ما يجوز مقاربة حديث ميمون الواسطي مع الحجاج، هو رمزية الأول إلى المخاطب العامي الذي أصابه الجنون، ويعتبره الناس غير عالمٍ وعارفٍ، ولا يمكن أن يكون كلامه بلاغيا وحديثه بليغا، بينما يرمز الحجاج في العرف الثقافي العربي والإسلامي إلى السلطة والشخصية المتسلطة التي مارست مختلف أنواع الظلم والاستبداد والقهر من جهة، وتقلدت مناصب سياسية متنوعة من جهة ثانية، وفي الميزان البلاغي تميل بلاغة الجمهور إلى دراسة خطاب المخاطب، ردا على خطاب المتكلم، وننزّل ميمون الواسطي في هذا الحديث مقام المخاطب العامي، والحجاج بن يوسف الثقفي مقام المتكلم، ومن ثمة، سنعمل على بيان التجليات البلاغية في حديث ميمون الواسطي بوصفه نصا أدبيا، يضم مجموعة من الاستجابات البليغة والإشارات الثقافية التي يمكن أن نؤكد من خلالها قوة أدب الجنون، وقدرته على التأثير والإقناع، وهذا ما يجوز مقاربة حديث ميمون الواسطي باعتماد توجه بلاغة الجمهور، ليكون نموذجا أوليا لمقاربة النص التراثي العربي وجعل المقاربة نظرية تستمد تجددها من جمعها بين دراسة النصوص الحديث الافتراضية والنصوص التراثية القديمة.

II. الاستجابات البليغة في حديث ميمون الواسطي:

بناء على قراءة حديث ميمون الواسطي مع الحجاج تمت ملاحظة أنّ السائل المستفهم في الحوار هو الحجاج بن يوسف الثقفي، والمجيب والمخاطب هو ميمون الواسطي، ومن خلال تتبع طريقة إجاباته عن أسئلة الحجاج وطريقة الرد على كلامه والتفاعل معه، فقد بدا أن ميمون المجنون يناقش الحجاج مناقشة هادئة وغير متوترة ولم يحس فيها بقيود السلطة أو ما شابه، فقد كان متحررا وعازما على التحدي والمعارضة، وكلما طرح عليه الحجاج سؤالا يسكته بجواب فيه استجابات بليغة، وكلما تلقى الحجاج استجابة وجوابا لا يعارض ذلك وينتقل إلى طرح سؤال آخر، وعدم تفاعله مع أجوبة ميمون الواسطي المقنعة والمسكتة فيه مجموعة من الاستجابات البلاغية، ومن أمثلة هذا في النص أن الحجاج قال لميمون: **"أتجنن أهل مثل هذا الكلام وتسمى مجنوناً؟ فقال يا حجاج! إن أهل البطالة إذا نظروا لأهل المحبة سموهم مجانين وقد سبق القول منهم، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا: لا تضمنون بيوم الحساب".** كان سؤال الحجاج لميمون الواسطي واضحا، مرده أن ميمون يزعم أنه

مجنون، ويدعي تصنع الكلام ليسميه الناس مجنونا، فكانت استجابته أنّ أهل البطالة والفقر والمجاعة إذا نظروا إلى أهل المحبة والقبول سموهم مجانين، وفي هذا القول إشارة بلاغية تظهر في السخرية والاستهزاء، حيث إن الحجاج هو من تسبب في البطالة والعطالة وأفقر الناس وأجوعهم، وهذا السبب يرتبط بما يزعمونه بقولهم: إن ميمون مجنون، أي أن تسميتهم له بالمجنون يرتبط أساسا بالفقر والبطالة التي يعانون منها، وقوله: "لو رأيتموهم لقلتم مجانين"، أي: أن أهل السلطة متى رأوا أهل المحبة سينعتونهم بالمجانين، ومتى نظر أهل المحبة إلى أهل السلطة بوصفهم متبعين للدنيا سينعتونهم بالمغرورين المتبعين لعالم الدنيا، وبدا أن الحجاج وقع في مصيدة بلاغة الكلمة، إذ لم يستطع الرد على كلام ميمون الواسطي، الذي استخلصنا منهم مجموعة من الاستجابات التي نبرزها فيما يلي:

1. **الاستجابة اللغوية:** تحققت من حديث ميمون الواسطي مجموعة من الاستجابات اللغوية البليغة التي تبرز القوة اللغوية والأسلوبية للمخاطب، وقدرته على محاورة الحجاج بن يوسف الثقفي ومعارضته والوقوف شوكة ضد إغراءاته وأحاديثه الترهيبية، ونبرزها في النقاط الآتية:

أ. المعجم العرفاني في حديث ميمون الواسطي:

يعبّر المعجم في بلاغة الجمهور عن البعد الإيديولوجي للمخاطب، ويبين أهم توجهاته الفكرية والمذهبية، كما يحدد أهم مقاصده وأهدافه من الخطاب، وتحقق من حديث ميمون الواسطي أنه استعان بمعجم عرفاني صوفي ينتمي بالأساس إلى الحقل الديني ولعل الأساس من هذا الاستناد محاولة تحسيسه الحجاج بالذنب ومخاطبة مشاعره ودغدغتها حتى يشعره بتأنيب الضمير أولا ويظهر له بعده عن طريق الله تعالى ثانيا، والإشارة النصية والسياقية التي تؤكد أن ميمون الواسطي صوفي، هو قول المسيب بن شريك: "**كان ميمون بليغاً عابداً**"، ويتحقق الأمر أكثر من خلال الجدول الآتي الذي نذكر فيه الألفاظ والعبارات الدالة على المعجم:

المعجم الصوفي والعرفاني

إن لله عباداً مطهرين مطيعين/ بالعبادة مشتغلين/"فقوماً عبدوه شوقاً إليه، فقلوبهم لا تشتغل بغيره/ وسقاهم ربهم بكأس الوداد شربةً فقاموا شوقاً/ فلا تحط رحالهم إلا في قرب الله. فهم خاصته في أرضه/ فالأفاعي تلسعهم، والعقارب تلذغهم، كلما استغاثوا جدد لهم العذاب/ وقوماً عبدوه طمعاً في الجنة دار أوليائه، محل أصفيائه./ فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه، ليسكنهم في قصور من فضة، وخيام مزينة، ومجالس متخذة، والحور أزواجهم، والطير يظلهم، والملائكة تخدمهم

إن المعجم الموظف في حديث ميمون الواسطي يوحي إلى ميزة الحكمة والزهد والتعبد التي يتصف بها، على الرغم من كونه مجنونا، ففي الجدول ما يشير إلى الإخلاص في العبادة نحو: **"الطهارة والطاعة والاشتغال بالله تعالى، والطمع في الجنة"**، وفيه ما يشير إلى الشوق لله تعالى نحو: "**الشوق، وكأس الوداد، ورحالهم، والأصفياء والأولياء، والخيام المزينة، وحور العين"**، وما يشير إلى الرغبة في القرب منه سبحانه، مثل: **"السكن، والجوار، وسقاهم، والقرب، ويسكنهم في القصور، والطير يظلهم"**. عرفانية ميمون خلقت الفارق في حواره مع الحجاج، وبينت مذهبيته وقربتنا من الأثر الذي خلقته العبارات التي اختارها بعناية واستقاها من معجم عاطفي عرفاني يسهم بالأساس في خلق الأثر واستهواء المتكلم، وخلق هذا الأمر استجابة بلاغية بليغة في النص.

ب. الاستجابات الأسلوبية:

وظف ميمون الواسطي في محاورته للحجاج بن يوسف الثقفي مجموعة من الأساليب البلاغية، التي تؤكد قوة أدب المجانين، ولعبت الأساليب دورا مهما في جعل حديث المخاطب في النص مؤثرا ومقعنا، أو بالأساس كشفت ضعف الحجاج أمام ميمون الواسطي، لعدم قدرته على إقناعه وإغرائه وجعله منصاعا لمقامه السلطوي، وللأسلوب في بلاغة الجمهور دور هام في بيان أهم الوظائف البلاغية التي يحققها المخاطبون في خطاباتهم، وهذا ما سنبينه في الأساليب التي تم استطلاعها من حديث ميمون الواسطي:

- **أسلوب الاستفهام:**

ارتبطت أغلب الاستفهامات في الحديث بالحجاج، وراجع ذلك إلى المقام الخطابي بينه وبين الواسطي، حيث إنه أعلى مقاما وقدرا وسلطة منه، ومن ثمة، فيطرح عليه تساؤلات كثيرة

لكشف كذب جنونه وزيف حمقه، ومن هذه الاستفهامات قول **الحجاج: "أتجنن أهل مثل هذا الكلام وتسمى مجنوناً؟"**، ويستفهم الحجاج هنا عن مدى صدق ميمون الواسطي في جنونه، قاصدا أنه يعمد إلى كلام البهاليل ويجنن بها الناس حتى يسمى مجنونا، وكان جواب ميمون بليغا، حيث رد عليه بسخرية واستهزاء بإشاراته إلى أن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل المحبة قالوا عنهم مجانين، والمضمر في قوله أنه من أحباء الله الذين كرمهم بمحبة الناس وسحر الكلام، وأن أهل البطالة هم رعية الحجاج الذين أصابهم الفقر والحزن والبؤس فوجدوا في ميمون ما يسعدهم وينسيهم همهم وكثرة مآسيهم، فكان المؤنس الذي يخفف عنهم من سوء حالهم وأحوالهم، وأضمر أيضا أن أمثاله إذا نظروا إلى المتجبرين والحاكمين أخبروهم بأنهم لم يضمنوا يوم الحساب، ليكون جنون ميمون بهذه الإجابة أهون من تجويع الحجاج للناس وإفقارهم، ومن أسئلته الإغرائية التي يستهدف منها إيقاع ميمون وإبطال دعواه قوله: **"فهل لك أن أُريك شيئاً يذهل عقلك، ويلجلج لسانك؟"**، يطرح الحجاج سؤالا جوهريا لعل أساسه في اعتقادنا أنه يريد أن يرغب نفسه ويحببها للمخاطب، وأن ينال حبه ورضاه، وأن يحصل على ثقته، حيث عرض عليه أن يريه ما يبهر عقله ويذهله ويلجلج لسانه، و"اللّجْلَجَةُ هي: أَن يتكلّم الرَّجُلُ بلسانٍ غيرِ بيّنٍ"[24]. فعرض عليه الحجاج جارية حسناء وجميلة أجاد في وصفها وبيان محاسنها وبهائها، إلا أن ميمون لم يذهب ضحية هذا الإغراء فرد عليه بسؤال استفهامي خرج عن معناه الحقيقي ليفيد العتاب والمعاتبة، قال **ميمون: "ما تصنع بهذه الجارية ولها أجل مسمى، وأيام محصاة؟"**، يعارض ميمون بهذا السؤال الحجاج بن يوسف الثقفي استعباده للجارية التي خلقها الله تعالى بأجل مسمى وأيام معدودة، وهنا يعاتبه ويشعرهُ بالذنب، حيث إنّ حصره للجارية فعل قهري استعبادي يحيل إلى الظلم والفساد، ويؤكد له أنه ليس مسؤولا عنها ولا عن حياتها، فأجلها مكتوب عند الله تعالى، وأيامها مرتبطة برزقها الذي كتبه الله تعالى لها. ومن ثمة فقد أدت الاستفهامات وظيفة بلاغية بليغة تتجلى أساسا في إشعار ميمون الواسطي الحجاجَ بالذنب والعتاب وتأنيب الضمير، ورغبة الحجاج في فرض سلطته وسيطرته على المخاطب.

- **أسلوب النداء:**

مالت مسألة النداءات في الحوار إلى الحجاج بن يوسف الثقفي؛ لأنهم يمثل مركزية السلطة، ولعب أسلوب النداء دورا بلاغيا في حوارهما وأدى وظيفة دلالية نظهرها في أن الحجاج كلما نادى ميمون الواسطي يود أن يشعره بالنقص، ومتى نادى ميمون الحجاج فيناديه لغرض المعاتبة وتحسيسه بالذنب والضعف وقلة الإيمان وانتهاك حقوق الناس وإهمالهم، وفي بيان هذا وتأكيده نستحضر مختلف الأساليب الدالة على النداء في النص، ومنها قول ميمون الواسطي: **"فقال يا حجاج! إن أهل البطالة إذا نظروا لأهل المحبة سموهم مجانين وقد سبق القول منهم، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا: لا تضمنون بيوم الحساب"**، أداة النداء "يا" والمنادى هو "حجاج"، وجاء نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، وجاء النداء لإبطال دعوى الحجاج بزعم ميمون بأنه مجنون، وتم تحليل ذلك فيما مضى، وكان النداء مصحوبا بمؤكدات كثيرة منها "إن" و"قد" و واللام في: "لقلتم" و"لقالوا"، وتؤكد صدق ميمون المجنون في كونه يريد معارضة الحجاج، ويحضر أسلوب النداء أيضا على لسان المجنون بقوله: **"وأنت يا حجاج! لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، ولبس اللين، ولكنه استقذرك، فطردك، ولو أرادك لاستعملك"**. صدر ميمون جملة النداء بالضمير "أنت" إشارة إلى الحجاج، والضمير من المعارف، تأكيدا على أن الحجاج هو المقصود من النداء، وفي القول استجابات نقدية بليغة الغرض منها حمل المتكلم على إدراك نواقصه وتخلصه من الدنيا وقربه من الله تعالى، فقد انتقده في ضعف إيمانه القلبي، حيث شغلته نفسه على الغرق في مشاغل الدنيا وشواغلها، ومصاحبة طريق الشيطان، فذكره بجزاء الانشغال بالله تعالى، الظاهر في أكل الطيب والإحساس باللين والطمأنينة، فصرح ميمون أن الله تعالى طرد الحجاج من رحمته واستقذره ولم يستعمله في نشر الخير والمحبة، ومخالفة لهذا فهو مستعمل في التسلط والظلم والاستبداد، ولعل المقصود من هذه الإشارات هو إضعاف المخاطب للمتكلم، ومن النداءات المرتبطة بالحجاج قوله: **"فقال الحجاج يا ميمون! وصفت الجنة ولم تصف أزواجها، فهل لك أن أُريك شيئاً يذهل عقلك، ويلجلج لسانك؟"**، يبتغي الحجاج من هذا النداء تحسيس ميمون المجنون بالضعف وعدم التمكن وإقناعه على نيل الحظوة من سلطته، مع السعي إلى إرضائه حتى لا يستمر في معاتبته وتعداد

مساوئه وفضائحه. وقد عارض ميمون الحجاج بأسلوب النداء بقوله: **"ويحك يا حجاج!"**، وقد جاء في سياق عرض الجارية عليه، بعد أن وصفها الحجاج بالحسن والبهاء والجمال في ملامحها وجسدها، ولجوء الحجاج إلى إغرائه بالجارية متجل في أن أكثر ما يستهوي الرجال ويغريهم ويسلب علقهم وخاطرهم هو الأنثى، إلا أن ميمون كان متشبثا بطاعته وقوة إيمانه، ولعب النداء وظيفة هامة في كشف الاستجابة الاجتماعية الظاهرة في الفقر والمعاناة والأوضاع، قال ميمون: **"فقال يا حجاج! انظر إلى هذا الرغيف ويبوسته، إن أطعمته جائعاً ملهوفاً رجوت الله أن يزجني جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها".** ويظهر في المقطع أنّ الحجاج لو قدم خبزا يابسا لجائع ملهوف سيطلب من الله أن يهابه جارية شبيهة بالشمس، والمضمر فيه أنه لا يتفقد أحوال الناس ولا يعرف حاجاتهم، فحتى الخبز اليابس الذي لا قيمة له لا يمكن أن يطعم به جائعا ملهوفا، وهنا وصف قمة بخله وشحه وعجزه عن توفير الخبز مطالب الرعية ولو كانت خبزا يابسا. فأدى النداء هنا وظيفة بلاغية أساسها التنقيص من قيمة الحجاج بن يوسف الثقفي لعدم قيامه بمسؤوليته على أكمل وجه يرضي الناس.

- **أسلوب الشرط وجوابه:**

استخدم ميمون الواسطي أسلوب الشرط بذكر فعله وجوابه، والغرض البلاغي منه سعيه إلى إحراج الحجاج بن يوسف الثقفي ووضعه في صورة الإنسان المفرّط في دين الله وأمانته، والمقصر في أداء مهمته السلطوية بتفقد أحوال الرعية ومعرفة مآسيهم وما يسرهم ويحزنهم، ويظهر ذلك في قوله: **"لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، ولبس اللين، ولكنه استقذرك، فطردك، ولو أرادك لاستعملك".** قد مرّ معنا بيان معنى القول في الإشارات السابقة، ويهمنا هنا أن الشرط ظاهر في حرف "لو" حرف امتناع للامتناع، وجوابه الشرط مقرون بحرف "اللام"، والغرض البلاغي من الشرط هنا إشعار الحجاج بالإفراط في جنب الله وعدم صدقه إيمانه بالله وباليوم الآخر، وعيّن مسألة الإيمان؛ لأن أشد ما يمكن أن يضرب فيه المرء، هو الضرب في دينه وصحة عقيدته، فلا يقبل الإنسان أن تتهمه في دينه؛ لأنه أكثر الأشياء تقديسا لديه، ومن ثمة، فتعيين الجانب الديني دون شيء آخر مرغوب فيه إيقاظ ضمير الحجاج الميت.

2. الاستجابة النقدية:

تعدّ الاستجابة النقدية في الخطابات العامة والنصوص النثرية والأدبية من أكثر الاستجابات إيرادا لما فيها من إشارات نقدية موجهة إلى الخطاب المتعالي السلطوي، وفي النص يوجه ميمون الواسطي للحجاج بن يوسف الثقفي انتقادين، الأول ديني، ويظهر في قوله: **"لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، ولبس اللين"**، وقد تم بيان محامله البلاغية في أسلوب الشرط، والثاني اجتماعي وظاهر في قوله: "**ثم أخرج من كمه رغيفاً يابساً فقال يا حجاج! انظر إلى هذا الرغيف ويبوسته، إن أطعمته جائعاً ملهوفاً رجوت الله أن يزجني جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها، وكأن الغنج يجري في حركاتها فأُطرب**". إنّ سماع عبارة مثل: الرغيف، واليابس، والملهوف والجائع"، يحيل مباشرة إلى الظروف الاجتماعية القاهرة، فكأن ميمون الواسطي ينتقد الأوضاع المزرية التي وصل إليها الناس في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث إن تحليل الكلمات المذكورة بالتوالي والترتيب في النص يؤكد هذا المعنى، رغيف يابس وملهوف جائع، وفيها إحالة إلى الفقر والجوع والمعاناة الذي وصل إلى حد اللهف.

III. التنوع البلاغي في حديث ميمون الواسطي

لم يقتصر ميمون الواسطي في محاورته للحجاج بن يوسف الثقفي على وجه بلاغي واحد فقط، بل في النص تنوع بلاغي، يحدد بالأساس القوة البلاغية التي يمكن استطلاعها من النصوص التراثية، وبالأخص أدب المجانين، فقد بدا لنا من خلال تتبع المقاطع النصية كشف الوجوه البلاغية البليغة الآتية:

1. بلاغة الإيجاز:

إن الإيجاز في العربية معناه الاختصار وضده الإطناب، والإيجاز من الملامح الدالة على القوة البلاغية، والتي كان يميل إليها العرب من الحكماء والعارفين والبلاغيين والفلاسفة، ويتحقق هذا الأمر في قول ميمون الواسطي: **"إن أهل البطالة إذا نظروا لأهل المحبة سموهم مجانين"**، يوجز ميمون بهذا الكلام حديثا كثيرا، ويرد على قول الحجاج بإيجاز لما اتهمه أنه يزعم الجنون، فكان رده أن أهل النقصان والبطالة كلما نظروا إلى أهل المحبة والعلم والحقيقة حسبوهم مجانين، ولا ينطق بهذا الكلام البليغ إلا من يمتلك أسلوبا ولغة حكيمين،

"والبلاغة هي إصابة المعنى والقصد إلى الحجة مع الإيجاز" [25]. فمحاججة ميمون لم يعمد فيها إلى الإطناب بغية ألا يسير على نهج عوام المجانين في الثرثرة، وعدم الأخذ بأحاديثهم، فكانت وظيفة الإيجاز في كلام ميمون ظاهرة في رد الاعتبار إلى ذاته، وإضفاء نوع من الجدية على ما ينطق به، حتى لا يظن الحجاج أنه مجنون وكلامه لا يؤخذ به.

2. بلاغة الرد أو أسلوب الحكيم:

الاتصاف بالبديهة والسرعة في الرد أمر لا يختص إلا بأهل البلاغة والفطناء والأذكياء، وتكون لمثل هذه الردود بلاغة تتسم بالقوة الحجاجية والإقناعية، ونجد لها الأثر البارز في النصوص الأدبية على لسان شخصيات واقعية ومتخيلة، حيث تكون ردودها بليغة ونقدية وتأثيرية واستهوائية، ومن خلال الدراسة البلاغية لكلام ميمون الواسطي، فقد تحقق أن إجاباته عن أسئلة الحجاج وتفاعله معها كنوع من أنواع الاستجابة فيه ملمح بلاغي يحمل بعد الذم والنقد والسخرية، وهو ما يتضح في رده على قول الحجاج لما أغراه بالجارية والمال، ويتمثل في المقطع الآتي:"**قال الحجاج: قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم. قال: المال فرده إلى الموضع الذي سرق منه**"، أمر الحجاج لميمون بأربعة آلاف درهم، ولكن ردُ ميمون كان سريعا وبليغا، حيث طلب منه ردّه إلى الموضع الذي سرق منه، وهنا يتهمه بالسرقة من جيوب الرعية وبيت مال المسلمين، ومقابلة ميمون لإغراء الحجاج بالرفض دليل آخر على تدينه وتعبده وزهده وورعه، وعرض المال والجارية على ميمون مسعاه الحجاجي كشف زيف إيمانه، إلا أنّ ردود المخاطب المجنون تكشف في حد ذاتها مساعي المتكلم البلاغية.

3. بلاغة الذم:

لم يسلم الحجاج بن يوسف الثقفي في حديثه مع ميمون الواسطي من السخرية والذم والاستهزاء، الشيء الذي يؤكد قوة أسلوب الذم بوصفه ملمحا بلاغيا بليغا في الأدب، ومظهره البلاغي متجل فيما يضمره من الاستجابات، وتحضر في النص في المقطع الآتي: "**قال الحجاج يا ميمون: امدحني فأُحسن جائزتك. قال يا حجاج! والله ما أعرف فيك خيراً فأقوله. وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك**". الإغراء الثالث بعد الجارية والمال هو طلب الحجاج من ميمون الواسطي مدحه وتسلم جائزة على قدر العطاء في المدح، إلا أن ميمون لم يغتر بذلك وما زال مصرا على عدم التوافق مع الحجاج، وعدم الاقتراب منه ومن سلطته، فردّ بأسلوب القسم

"**والله ما أعرف فيك خيرا**"، فيقسم أنه لا يعرف خيرا وحسنا عن الحجاج ولم يسمع به، ومن ثمة، يستمر في الإضعاف من شخصيته والتنزيل من مكانته والتنقيص من اعتباره، والسعي إلى إذلاله وإشعاره بأن لا قيمة له ولماله وسلطته وجاهه، ونفهم من رد ميمون أيضا حضور الاستجابة الدينية، المتجلية في أنه ليس منافقا وكذابا، ولا يطمع في الحظوة والعطايا، بل كان صريحا وصادقا في حديثه، واستدرك على قسمه في عدم معرفة ولو شيئا من محاسن وصفات الحجاج بقوله: "**وإن قلت ما أعرف فيك ذممتك**"، وهذا تعبير صريح على الذم، حيث إن الشمائل التي يودعها ميمون عن الحجاج ويعرفها عنه هي شمائل مذمومة وقدحية، وقد دّسها في طريقة إجاباته عن أسئلته، إفقاره الرعايا وتجويعه الناس، وسرقته مال الناس، وعدم اهتمام بعبادة الله تعالى، وغيرها من المساوئ والذمائم.

4. بلاغة التصوف والعرفان في قول ميمون الواسطي:

للعرفان والتصوف بلاغة تتحقق أساسا في نوع الخطابات التي تصدر من العارفين والمتصوفين والحكماء، حيث يقدمون من خلال تجاربهم الذاتية في العزلة والتخلص من أرذال الدنيا وعدم معاشرة العوام والابتعاد عن ملاهي الدنيا وشهواتها إشارات بلاغية توحي بالأساس إلى أن العرفان بلاغة حياتية تقرب حقيقة الحياة من الناس وتصور لهم قيمة الأشياء وتجعلهم قريبين من جنب الله، وأظهر ميمون الواسطي جانبا من هذه البلاغة في تقسيمه العباد إلى ثلاثة أصناف، بقوله: "**إن لله عباداً مطهرين مطيعين، بالعبادة مشتغلين، وهم ثلاثة أصناف**"، فلله –حسب المقطع – عباد مطهرون ومطيعون مشتغلون بعبادته، وهم من أقربائه، ويختلفون في درجة القرب والعبادة وجعلهم ميمون ثلاثة أصناف، وحدد خصائص ومميزات كل صنف، وكلها تحديدات تحيل إلى زهده في عبادة الله تعالى، ونشير إلى الأصناف الثلاثة من العباد فيما يلي:

- **صنف عبادة الله بالشوق إليه:**

هذا الصنف من العباد – كما أشار ميمون المجنون – يعبدون الله شوقا إليه ورغبة في التقرب منه، ويرجون لقاءه ونيل الحظوة منه، وهم خاصة الله في أرضه الذين شربوا شراب الشوق من محراب العبودية، ولا يشتغلون في حياتهم وأيامهم إلا بالله تعالى، ولا يرغبون في متاع الدنيا؛ لأنهم يعلمون خرابها وزوالها، وقال ميمون المجنون في وصفهم: "**فقوماً عبدوه**

شوقاً إليه، فقلوبهم لا تشتغل بغيره، لأن قلوبهم قد ألفت، وسقاهم ربهم بكأس الوداد شربةً فقاموا شوقاً، فلا تحط رحالهم إلا في قرب الله. فهم خاصته في أرضه". صنف أعلى مرتبة من الصنف الثاني الذين يعبدون الله خوفا منه؛ لأنهم أهل شربوا من نهر الشوق والعشق الرباني، وتطير أرواحهم شوقا إليه ورغبة في اللقاء به، وألفت قلوبهم الاشتغال بعبادة الله تعالى.

صنف عبادة الله خوفا منه:

يعبد هذا الصنف الثاني الله تعالى خوفا من عذابه وعقابه، ولا يعبده طمعا في الجنة أو نيل رضاه أو الشوق إليه، فهم يخشون ربهم ترهيبا وليس ترغيبا، ومن خواصهم الحذر والمبادرة والاجتهاد والاستغاثة، وقال ميمون الواسطي في وصفهم: **"وقوماً عبدوه خوفاً من النار، لما سمعوا قوله تعالى: "قوا أنفسكم وأهليكم ناراً" فحذروا وبادروا واجتهدوا خوفاً من النار من تحتهم ومن فوقهم وعن أيمانهم، وعن شمائلهم. فالأفاعي تلسعهم، والعقارب تلذغهم، كلما استغاثوا جدد لهم العذاب، وهو عدل من الرحمن".** استدل ميمون المجنون في وصف صنف العباد الخائفين بالآية التي تأمر بوقاية الأنفس والأهل من النار، وبيّن جزاءهم، حيث تلسعهم الأفاعي وتلذغهم العقارب، وحينما يستغيثون طلبا للنجاة يتجدد لهم العذاب، واصفا ذلك بعدل من الله تعالى، ويأتي الصنف في الدرجة الثانية التي تضم عوام الناس من الخلق، وبدا من أوصافهم الملمح البلاغي الصوفي الذي يتصف به ميمون الواسطي، في لغته السلسة والمرنة وأسلوبه الجمالي الساحر، الذي يوحي بالهدوء والسكينة.

صنف عبادة الله طمعا في جنته:

جعل ميمون الواسطي هذا الصنف في المقام الأول، حيث إن أهله من المتنورين بنور الله والمتزينين بلطفه ورحمته، والعابدين له رغبة في مجاورة أصفياء الأنبياء والمرسلين وملاقاة الأولياء السالكين في طريق الرحمان، هم الأكثر قربا من الله، والراغبين في فردوسه الأعلى وحدد ميمون المجنون خواصهم بقوله: **"وقوماً عبدوه طمعاً في الجنة دار أوليائه، محل أصفيائه. لما سمعوا قوله تعالى: "سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"، فصبروا على الألم، حتى استوجبوا الرضى، والعفو عما مضى، فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه، ليسكنهم في قصور من فضة، وخيام مزينة، ومجالس متخذة، والحور أزواجهم، والطير يظلهم، والملائكة**

تخدمهم". يرغب أهل هذا الصنف في جوار الله تعالى، ويتصفون بقوة الصبر على جلد الأيام، ويستوجبون الرضى على صبرهم، ويرجون مقرا في جنان الله تعالى، والاستمتاع بما فيها من الأطايب والملذات بالزواج من حور العين والتظلل بطيور الجنة والاستفادة من خدمات الملائكة ومساعداتها، إنّ مختلف هذه الصفات توحي إلى تشرب ميمون الواسطي للفكر الصوفي، وأثر عليه بشكل جلي في استهواء الحجاج والتأثير فيه وتحسيسه بالنقصان، ولعله يبرز مباشرة أنه لا ينتمي إلى صنف من هؤلاء الأصناف الثلاثة المذكورة، حيث إنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا صادقا، ومن ثمة، إن فكر تقسيم العباد وتصنيفهم فكر صوفي، يؤكد القوة البلاغية التي يمتاز بها ميمون الواسطي المجنون.

5. بلاغة الوصف والتصوير الفني في حديث ميمون:

من المسائل البلاغية التي تبدت لنا من خلال مقاربة حديث ميمون الواسطي إجادته لأسلوب الوصف بوصفه بلاغة تعتمد أساسا على الموسوعية اللغوية من جهة والمعرفية من جهة ثانية، وتجلى الوصف في قوله: **"رجوت الله أن يزجني جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها، وكأن الغنج يجري في حركاتها فأُطرب، وتكلمني فأُنعم، وأرجو أن أكون قد استوجبتها في هذا الوقت لقولي الحق، وتركي الهوى".** وصف ميمون الواسطي الجارية فشبه عينيها بالشمس، إظهارا لجمالها وبهائها وحسنها وروعتها، وشبه حسنها وجمالها بالإنسان، حيث إنه يجري فيها ويظهر على ملامحها الحسن والدلال، ويقوده شدة نورها وتغنجها إلى الطرب، وكلما حادثته أنعم بكلامها البهي، وهنا يقدم وصفا أجمل من الجارية التي قدمها له الحجاج، ساعيا إلى التأكيد على أن كل ما يأتي منه فيه نقصان، ويبرز له أنه يفهم في صفات جمال المرأة. يصوّر ميمون الواسطي بأسلوب وصفي بلاغي سحر التقاسيم التي تبهجه وبهاء الملامح التي تسعده، والمحاسن المتأنقة التي تبهره وتذهله في النساء الجميلات.

6. بلاغة الاستدلال في قول ميمون الواسطي:

للاستدلال دور حجاجي وبلاغي، يتبدى في أن المحاجج يريد تزكية أطروحته بأدلة دامغة تسعفه في إقناع الآخرين، وهو الأمر الذي نهجه ميمون الواسطي في تحاوره مع الحجاج، حيث استدل بآيتين قرآنيتين، أثناء حديثه عن أصناف العباد المطيعين لله تعالى، فالآية الأولى أكد بها أوصاف صنف الذين يعبدون الله تعالى خوفا منه، وهي وقوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا" [التحريم: 6]، فدورها البلاغي أنها تؤكد سعي الصنف إلى عبادة الله تعالى اتقاء للنار والعذاب الأليم، والآية الثانية استدل بها للتأكيد على صفات صنف الفائزين بجنة الله تعالى، والذين يعبدونه رغبة في نيل رضاه والسكن في قصوره والفوز بجواره لصبرهم على الشدائد والصعاب، وهي قوله تعالى: "سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤" [الرعد: 24]، ووظيفتها البلاغية هي الإقرار بالفوز والسلام ونعم القرار للصابرين والسالكين في طريق الله تعالى، والعارفين الذين ساروا في طريق العلم بغية معرفة حقائقه والوصول إلى معاني الوجود، واستحضار ميمون الواسطي للشواهد القرآنية دون أدلة أخرى إقرار تام بالبعد الصوفي في شخصيته، وتصريح واضح بأنه اختار الجوانب الدينية بغية التأثير في الحجاج.

IV. المحاججة بالقيم:

الحجاج بالقيم أو المحاججة بالقيم آلية تأصلت في نظرية الحجاج أو البلاغة العامة، وهذا لا يعني أننا نخلط بين توجهين اثنين، إنما نمتح الآليات التي تسعف الناقد البلاغي في توجه بلاغة الجمهور على فهم خطابات الجمهور والأدب، وإظهار تجليات الاستجابة فيها، وحتى نستطيع استنطاق القيم في حديث ميمون الواسطي مع الحجاج، لا بدّ من تقديم تعريف للقيم، فهي من المقدمات أو المنطلقات التي انبنى عليها الحجاج عند (بيرلمان)، وهي تمثل "بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غداء أساسيا، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء، والقيم نوعان: قيم مجردة من قبيل العدل والحق، ومحسوسة من قبيل الوطن"[26] ، ونظهر هذه القيم فيما يلي:

- **قيمة العفة:** تظهر هذه القيمة في تمنع ميمون الواسطي عن أخذ الجارية الخلو بها، اتقاء للشبهة وتجنبا لارتكاب المعصية، فقد كان متعففا مؤكدا أولا لتعبده وإخلاصه في عبادة الله والإيمان به ثانيا، وإقرارا لمقالته الأولى في الحجاج لما أخبره بعدم صدقه في الإيمان بالله تعالى ثالثا، ومن ثمة، فتعففه يحيل إلى قوته الإيمانية والحجاجية في آن، إيمانية لأنه عابد زاهدٌ، وحجاجية؛ لأنه لم يغتر بإغراء الحجاج، قال ميمون الواسطي: **"وأرجو أن أكون قد استوجبتها في هذا الوقت لقولي الحق، وتركي الهوى".** قولة تبين حضور قيمة العفة والتعفف في خصال المخاطب ميمون الواسطي.

- **قيمة إنسانية:** تتحقق هذه القيمة الإنسانية في رفض استعباد الحجاج بن يوسف الثقفي للجارية، حيث تساءل عما يصنعه بها ولها أيام محدودة وأجل مسمى، بقوله: **"ما تصنع بهذه الجارية ولها أجل مسمى، وأيام محصاة؟"**، يطلب ميمون الواسطي بشكل مضمر من الحجاج تحريره للجارية وتركها تعيش حياتها بكل حرية وأن تستمتع بأيامها المحدودة الأجل، ونفهم من العبارة أيضا انتقاده له، حيث يهتم بالجواري والغلمان ويجهل رعيته ويتركها تعاني من الفقر والبطالة، والغرض البلاغي من رفض الجارية، إظهار محبته للناس وتعاطفه معهم، ورغبته في تحريرهم من قيود السلطة.
- **قيمة القناعة:** القناعة والرضى صفتان مائزتان للمتعبدين والمتصوفة والزاهدين، والطمع والجشع صفتان تميزان محبي الدنيا والجاه والأموال، وتحضر القناعة بوصفها قيمة في حديث ميمون الواسطي، لتؤدي وظيفة بلاغية، تتجلى في شعور ميمون الحجاجَ بالنقص، وتتبدى القناعة في النص في رفضه للمال وطلبه تركه للحصول على قوته وطعامه، قال في ذلك: **"خلي سبيلي أسأل الله بقوت يغني عن نوالك ونوال أضرابك"**. فالقناعة حملت ميمون الواسطي على إسكات الحجاج وإرغامه على الانتقال إلى موضوع آخر للإغراء والإقناع.
- **قيمة الحب:** أظهر ميمون الواسطي في النص حبه لنفسه، وذلك بعد أن طلب منه الحجاج مدحه، فرفض بدعوى أخلاقية تكمن في عدم انشغاله بعيوب الناس ومحاسنهم، إذ في نفسه ما يجعله يترك مراقبة الناس، قال في ذلك مخاطبا الحجاج: **"ولكن ما أذم الناس، لأن في نفسي ما شغلني عن عيب غيري"**. إن المقطع يظهر حب ميمون الواسطي لنفسه والانشغال بها وإصلاح نواقصها ومساوئها ومعايبها، ولعل هذه القيمة، تؤكد خواص المتصوفة إجمالا، ويتناص مع أفكارهم، حيث إن شغلهم الشاغل الهروب من الواقع والفرار إلى الله تعالى واتخاذ العزلة والعبادة شريعة، ولا يحملون همّ إصلاح عيوب الناس، فيكون عقلهم بعبارة محمد عابد الجابري مستقيلا، حيث إن مختلف أفكارهم الخيالية والتخيلية والوهمية التي يصلون إليها انطلاقا من التجربة الذاتية بعيدة عن عوام الناس، ولا تخصهم في شيء، وبناءً عليه، فإن ميمون الواسطي يظهر حبّه لنفسه لعمله على إصلاح نفسه دون إصلاح الناس.

- **قيمة النصح والإرشاد:** تحضر قيمة النصح والإرشاد في نصح ميمون الواسطي للحجاج بن يوسف الثقفي، والنصح متجل في نهيه عن أن يكون لصا جوادا يجود على المال بالمادحين، فيرشده أن ذم الناس له لن يضره في شيء، ومدحهم له لن ينفعه في شيء، فالمنافع والعطايا من الله تعالى، والأضرار والابتلاءات والعقاب قدر منه سبحانه، ويتبدى النصح في قوله: **"ولا تكن لصاً جواداً تجود به على من إن ذمك لا يضرك، وإن مدحك لا ينفعك".** أظهر ميمون الواسطي قوته الحجاجية في ربط مختلف أحاديثه بالبعد الديني، حيث استطاع إبلاس الحجاج وإقناعه والتأثير فيه.

٧. التناص الصوفي والفلسفي في حديث ميمون الواسطي:

من الاستجابات البلاغية البليغة في مقاربة حديث ميمون الواسطي مع الحجاج بن يوسف الثقفي وجود تناص صوفي وفلسفي في حواره، ويظهر أساسا في تقسيمه العباد المطيعين لله تعالى والعابدين له إلى ثلاثة أصناف، وقد مر معنا بيانها وتحديدها في بلاغة العرفان والتصوف، وهذه التقسيمات تذكرنا بالتصنيفات التي قام بها ابن رشد، حيث قسم الناس إلى عوام وخواص وخاصة الخاصة، فالعامة يحتاجون في مخاطبتهم إلى الوعظ والإرشاد، والخواص يحتاجون إلى البراهين والأدلة، بينما خاصة الخاصة ينبغي مخاطبتهم بالجدال، وقد استخلص هذا التأويل والتقسيم من قوله تعالى:"ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ [النحل: 125]". فهي تحدد أن مخاطبة الناس يكون بالوعظ والحكمة والجدال، ويحيل هذا إلى تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف، منهم أهل البرهان وأهل الجدال وأهل الخطاب[27] ، ومن ثمة، فأصناف العباد لدى ميمون الواسطي متناصة مع كثير من تقسيمات العارفين والحكماء والفلاسفة.

الخاتمة:

ابتحثتْ الورقة في موضوع جدير بالبحث والدراسة، ويتجلى أساسا في الاقتراب من بلاغة الجمهور في الأدب عامة ومن الأدب العربي القديم خاصة، حيث جعلنا أدب الجنون نموذجا لنبين فيه قدرة المقاربة الجديدة لبلاغة الجمهور على استطلاع وكشف الاستجابات البليغة وبيان وجوهها البلاغية في النصوص الأدبية، عبر تتبع العلامات اللغوية وغير اللغوية

للشخصيات المتخيلة في الأعمال السردية والشعرية أو دراسة مقاطع لغوية وتحليلها داخل نص أدبي يشمل مؤشرات تنتمي إلى حقل بلاغة الجمهور، ويضم إشارات ثقافية ونقدية عن طبيعة الاستجابات البليغة وغير البليغة التي يمكن للناقد البلاغي تعيينها اعتمادا على آليات اشتغال مقاربة بلاغة الجمهور في الأدب. إننا بعد استثمارنا للآليات الإجرائية والمعارف النظرية للمقاربة وقراءة النماذج التطبيقية لعماد عبد اللطيف استطعنا أن نقترب من الأبعاد البلاغية في أدب الجنون، حيث قمنا بتحليل ومقاربة حديث "**ميمون الواسطي مع الحجاج بن يوسف الثقفي**"، وتحققت لنا من ذلك الأهداف البلاغية المرجوة، وأساسها أن ميمون كان قادرا على مواجهة الحجاج ومعارضته وتجاوز سلطته وعدم الاكتراث لمقامه وشأنه، وباستخدامه للمقومات اللغوية والبلاغية تمكن من إقناعه واستهوائه والتأثير فيه، ووجّه له مجموعة من الردود والانتقادات التي نعتبرها استجابات بليغة ونقدية، انتقد فيها ميمون الواسطي سياسة الحجاج المتسلطة، وضرب في قيمته ومكانته، وانتقص من إيمانه وإنسانيته وتعاطفه وتضامنه، وكشف أسراره الإغوائية والإغرائية الخبيثة، وأضعف حججه من خلال رفضها بإجابات بلاغية فيها تنوع بلاغي يجمع بين السرد والإيجاز والتصوف والحكمة، وكان للبعد الديني لدى ميمون الواسطي الدور الهام في إضعاف شخصية الحجاج والانتقاص منها، ولا يهمنا من هذا كله إلا التأكيد على مدى قوة التأسيسات والبناءات النظرية والمرتكزات المعرفية التي وضعها الباحث عماد عبد اللطيف للاشتغال على مقاربة بلاغة الجمهور، بتطبيقها على الأدب الذي يضم إشارات تتماشى والتوجه البلاغي الجديد، وقدم في ذلك نماذج تطبيقية، تخوّل للباحثين تطبيق بلاغة الجمهور على عينة من النصوص التراثية التي تحضر فيها الاستجابات البليغة بمختلف عناصرها

لائحة المصادر والمراجع:

1. ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985م.
2. ابن رشد، فصل المقال في ما بين الحكمة والشعرية من اتصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، مصر/ القاهرة، ط3.
3. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404 هـ، ج7.
4. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424 .

5. الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.
6. الجاحظ، الرسائل، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ - 1964م، ج4.
7. الحساني علي حسين، 2021م، بلاغة الجمهور: المفهوم والإجراء، مجلة العلامة، العدد الثاني، المجلد السادس.
8. خلفاوي نزهة، 2020م، ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف، عدد البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية، فاس.
9. صلاح حسن حاوي، 2018م، الخطاب الانتخابي في العراق: بلاغة السلطة واستجابة الجمهور، مجلة آداب البصرة، العدد85.
10. عادل مجداوي، 2020م، بلاغة الجمهور بين الرؤية، والمنجز، والطموح، عدد البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية، فاس.
11. عبد اللطيف عماد، 2017م، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ مأخوذ من كتاب: بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، دار شهريار، ط1.
12. عبد اللطيف عماد، بلاغة الجمهور في الأدب، مجلة الخطاب، المجلد1، العدد1، جانفي، 2022م.
13. عبد الله صولة، 2011م نظريات في الحجاج: دراسات وتطبيقات، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، دار الجنوب، تونس ط1.

الهوامش و الإحالات

[1] بلقاسم خالد، مرايا القراءة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2017م، ص5.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404هـ، ج7، ص180.

[3] صلاح حسن حاوي، 2018م، الخطاب الانتخابي في العراق: بلاغة السلطة واستجابة الجمهور، مجلة آداب البصرة، العدد85، ص123.

[4] ينظر: خلفاوي نزهة، 2020م، ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف، عدد البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية، فاس، ص146.

[5] الحساني علي حسين، 2021م، بلاغة الجمهور: المفهوم والإجراء، مجلة العلامة، العدد الثاني، المجلد السادس، ص135.

[6] عبد اللطيف عماد، 2017م، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ مأخوذ من كتاب: مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، دار شهريار، ط1، ص24.

[7] عادل مجداوي، 2020م، بلاغة الجمهور بين الرؤية، والمنجز، والطموح، عدد البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب، منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية، فاس، ص281.

[8] عبد اللطيف عماد، بلاغة الجمهور في الأدب، مجلة الخطاب، المجلد1، العدد1، جانفي، 2022م، ص14.

[9] نفسه، ص16.

[10] نفسه، ص16.

[11] نفسه، ص16.

[12] نفسه، ص18.

[13] نفسه، ص18.

[14] نفسه، ص18.

[15] نفسه، ص19.

[16] نفسه، ص19.

[17] نفسه، ص56 و57.

[18] نفسه، ص20.

[19] نفسه، ص56 و57.

[20] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404 هـ، ج7، ص180.

[21] نفسه، ج7، ص183..

[22] أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1424 هـ، ص291.

[23] ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985م، ص108.

[24] الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م، ص10، ص265.

[25] الجاحظ، الرسائل، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ - 1964م، ج4، ص151.

[26] عبد الله صولة، 2011م نظريات في الحجاج: دراسات وتطبيقات، دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، دار الجنوب، ط1/ ص، 26.

[27] ابن رشد، فصل المقال لابن رشد، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، ط2، ص31.